محمود محمود

روائع المسرح العالمى

١٧

رجل الله

مسرحية من أربعة فصول

تأليف
جابرييل مارسيل

ترجمة
فؤاد كامل

مراجعة
الدكتور محمد القصاص

تقديم
الدكتور محمد مندور

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٦١

تقديم

بقلم

الدكتور محمد مندور

رجل الله : دراما الضمير البشرى

رجل الله تعتبر من خير ما كتب جابرييل مارسيل الفيلسوف والأديب الفرنسى المعاصر من مسرحياته . بل لعلها خيرها على الإطلاق . رغم كثرة ما كتب هذا المؤلف من مسرحيات خلال حياته الطويلة التى تمتد من سنة ١٨٨٩ حتى الآن .

ويروى التاريخ أن كلمة وجودية قد أدخلها جابرييل مارسيل لأول مرة فى معجم الفلسفة الفرنسية عندما استخدمها سنة ١٩٢٥ فى مقال نشره بمجلة ميتافيزيقا والأخلاق) . وبالفعل أعلن جابرييل مارسيل نفسه بعد ذلك أنه وجودى مسيحى وذلك بعد أن ارتد عن الإلحاد إلى الإيمان بالكاثوليكية سنة ١٩٢٩ . .

والوجودية كمذهب فلسفى وأدبى إنما تنبع من موجات الشك فى القيم والمبادئ المتوارثة ، وهى أزمات لا تفتأ تجتاح التفكير الإنسانى وإن كانت تزداد شدة تحت ضغط القلق البشرى والأزمات الكبرى التى تجتاح البشر كالحروب العالمية الوحشية التى تدعو المفكرين إلى الشك فى قيمة تراثهم العقلى والروحى والأخلاقى عندما توحى إليهم تلك الحروب بعجز هذا التراث عن أن يكبح نزعات الشر والبطش الكامنة فى الإنسان ، وعجز الشعوب عن تبين ما فى دعوات السياسيين والرأسماليين المنتفعين من الحروب من تزييف وتضليل . ومثل هذه الحروب الوحشية هى التى تمكن هذه المذاهب الشاكة المتمردة على التراث الإنسانى إلى الخروج من مجال الفلسفة والفلاسفة المحدود إلى مجال الأدب والحياة والسلوك البشرى فى واقعها . وهذا هو ما حدث بالنسبة للسريالية التى رأيناها تغزو الأدب والحياة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وفترة ما بين الحربين . بينما ظلت الوجودية محصورة أو شبه محصورة فى نطاق الفلسفة والفلاسفة حتى كانت الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من أزمة ضمير عالمية جديدة دفعت البشر إلى البحث عن منبع جديد

للقيادة البشرية بعد أن عجزت السريالية المنبثقة عن أزمة الحرب العالمية الأولى فى أن تمكن للإنسان من السيطرة على سلوكه ، رغم محالات السرياليين العديدة فى الكشف عن العقل الباطن وما يكمن فيه من مكبوتات يعتقدون أنها أقوى سيطرة على السلوك البشرى من العقل الواعى الذى شكوا فى قدرته وأعلنوا إفلاسه على أثر قيام الحرب العالمية الأولى ، وعلى وجه التحديد فى سنة ١٩١٧ عندما اجتمع عدد من المفكرين والأدباء فى مقهى بمدينة زيوريخ فى سويسرا المحايدة وأعلنوا عدم اقتناعهم بشرعية الحرب العالمية القائمة عندئذ وشكهم فى عقل الإنسان الواعى وبحثهم عن قيادة جديدة للبشر ظنوا أنهم قد وجدوها فى أبحاث العالم النفسانى فرويد ومدرسته عن العقل الباطن أو اللاوعى . وانتهوا سنة فى ١٩٢٤ ، بالدعوة إلى المذهب السريالى فى الفكر والأدب والفن على السواء ، كما ورد فى البيان الذى أذاعه فى تلك السنة زعيمهم الكاتب الفرنسى الكبير أندريه بريتون . واجتاح هذا المذهب الآداب والفنون حتى قبيل الحرب العالمية الثانية وما تسبب عنها من أزمة ضمير عالمية ثانية مهدت النفوس لاعتناق المذهب الوجودى وبخاصة فى فرنسا التى

اجتاحتها حماقة النازية الهتلرية في وقت وجيز وأدت بها ويلات ، أو على الأصح حولت تلك الأزمة فرنسيين إلى وجوديين من تلقاء أنفسهم كما يزعم سارتر الذي يرى أن الوجودية ليست دعوة بل تقرير وقع وتحقيقه وإظهار حقيقته . فأزمة الضمير التي اجتاحت العالم عندئذ قد ساقتهم تلقائيا إلى الشك في التراث الروحي والأخلاقي كله وجعلتهم لا يؤمنون بلا شيء واحد هو أن الإنسان موجود وأن من واجبه أن يعمل من جديد على تحقيق ماهيته أي إنسانيته المثالية من خلال وجوده ذاته وسلوكه حتى تمنيه عقله وإرادته الحرة وإحساسه بمسئوليته في المواقف عامة ، التي تضعه فيها الحياة وفي أثناء تلك الحرب والفترة التي تلتها انتشر هذا المذهب وخرج من دائرة الفلسفة والعلاسفة إلى مجال الجمهور الواسع ليبتلي في مجال الأدب الذي يعتبر مرآة صادقة للحياة وتحليلا لها ، على نحو ما نشرت السريالية أي مذهب ما خلف الواقع أو ما فوق الواقع أو تحت الواقع خلال الحرب العالمية الأولى وفي الفترة التي تلتها . أي الفترة ما بين الحربين حتى قام المؤرخون برد فعل ضد

مهد النفوس إلى العدول عنها والبحث عن يقين آخر ظنوا أنهم قد وجدوه فى الوجودية ، أو ساروا إليه بطريقة تلقائية إن صح ما يزعمه سارتر كبير الوجودية فى عصرنا هذا . .

وأما وجودية جابرييل مارسيل وتطورها فيجب أن نبحث عنها أولا فى تاريخ حياته الخاصة فقد ولد جابرييل مارسيل فى باريس سنة ١٨٨٩ ، وتوفيت أمه وهو فى الرابعة من عمره فقام على تربيته أبوه وعمته وكان أبوه ملحداً لا أدريا متأثراً بكتابات تين وسبنسر ورينان ، وكذلك كانت عمته التى كانت شديدة الشك فى القيم الأخلاقية المتوارثة وصدقها وقدرتها على قياة السلوك البشرى . وانعكست هذه اللاأدرية على جبرييل فولدت فى نفسه شعوراً قوياً بالقلق والحيرة . وكان والده شغوفاً بالمسرح ، فأخذ يمضى سهراته فى قراءة المسرحيات لابنه قراءة دقيقة ممتعة وإن يكن الابن قد عانى فى طفولته وشبابه من شدة مراقبة أبيه وعمته له بل وجدته لأمه أيضاً ، فكان يحس أن كل حركاته مراقبة ، فأدى اتصاله المبكر بالحوار المسرحى والتضييق عليه من بيئته

العائلية إلى حالة غريبة يحدثنا هو نفسه عنها وهى تجريده من نفسه محاوراً أو محاورين له يناقش معهم مشاكل الفكر والأخلاق وأزمتهما مناقشة درامية أو شبه درامية ، ولهذا نرى التأليف المسرحى يجذبه إليه بعد ذلك جذباً ، وذلك بالرغم من أنه قد أعد نفسه لتدريس الفلسفة وقام فعلا بتدريسها فى فترات متقطعة من حياته ولكنه أحس بأن مهنة التدريس لا ترضى نزعاته الفكرية إرضاء تاما ، فانطلق إلى مجال أوسع وأرحب وجده فى النقد الأدبى والكتابة للمسرح والتأليف والموسيقى ، وأخذ يسجل خواطره اليومية منذ سنة ١٩١٣ حتى سنة ١٩٢٩ فيما نشره عندئذ باسم « يوميات ميتافيزيقية » . وفى هذه اليوميات نعثر على كافة عناصر تكوينه الفلسفى والأدبى . ومما يلفت النظر فى هذه اليوميات بذور الشك والتمرد التى تولدت فى نفسه داخل بيئته العائلية ثم فى المدرسة التى تعلم بها ، ومهنة التدريس التى زاولتها وخرج منها بثورة عارمة على مجموعة كبيرة من التقاليد الاجتماعية . كما نلمح ولعه بفن الحوار الذهنى . وفى الجزء الثانى من هذه اليوميات نلمح ما كان للحرب العالمية الأولى من

أثر كبير فى تفكيره وفى اشتداد أزمة الشك فى نفسه وتلهفه إلى يقين . فعندما نشبت تلك الحرب التحق جبرييـــل بوحدات الصليب الأحمر واشتغل فى قلم المخابرات للبحث عن المفقودين . ولم يشترك اشتراكاً فعلياً فى الحرب لضعف صحته ، ولكن ذلك لم يمنعه من مشاهدة ويلاتها عن قرب مما غمر نفسه بالحزن والأسى العميق رغم تفاؤله وإقباله على الحياة . وقد ظل يعانى من أزمة الضمير التى زادتها تلك الحرب شدة حتى انتهى بما حسبه تغلباً عليها ، وذلك بعودته إلى الكاثوليكية المؤمنة بفكرة الله سنة ١٩٢٩ وإن ظل وجودياً متابعاً فى ذلك الوجودية المؤمنة التى قال بها كيركجورد الدانمركى ، وإن يكن توفيقه بين الوجودية والإيمان بوجود الله قد وصل إليه مارسيل باجتهاده الخاص الذى هداه إلى المزج بين وجوده هو ووجود الإله لأنه لا تعارض بين الأنا والأنت ، وما دام الإنسان يحس من داخل وجوده نفسه بنزعة إلى الكمال . والله هو رمز هذا الكمال وهو النداء الذى يدعونا دائماً إلى التسامى بأنفسنا حتى نصل إلى هذا الكمال الذى نتزع إليه ونتمناه . وما أشبهه فى ذلك برائد فلسفة الشك فى العصر الحديث الفيلسوف

الفرنسي أيضاً ديكارت الذي رأى في نزوعه إلى التفكير دليلا قوياً على وجود الله .

وكتب جبرييل مارسيل غير اليوميات بعض الكتب الفلسفية . مثل « الوجود والتملك » سنة ١٩٣٥ و « الإنسان المتجول . سنة ١٩٤٥ . فضلا عن مقالته الشهيرة التي كتبها سنة ١٩٢٥ بعنوان « الوجود والموضوعية » ونشرها كما قدمنا في « مجلة الميتافيزيقا والأخلاق » ووردت فيها لأول مرة في تاريخ المصطلح الفرنسي الفلسفي لفظة « الوجودية » . ولكنه لما كانت فلسفة جبرييل مارسيل فلسفة حياتية . أي نابعة من حياة نفسها لا من التفكير المجرد على نحو ما فعل الفيلسوف الألماني « هيجل » الذي كان « مارسيل » يكرهه ويحتقر من فلسفته . فقد رأى مارسيل أن يجسد فلسفته في مشاهد حياتية أي في مسرحيات . وبخاصة بعدما علمنا من غرس والده الحب لهذا الفن الأدبي في نفسه . وبذلك رأيناه يكتب عدداً ضخماً من المسرحيات المتفاوتة القيمة الدرامية وإن عالجت كل منها مشكلة من مشاكل الضمير الإنساني الذي شغلت مشاكله جبرييل مارسيل طول حياته . وشغلت تفكيره وملأت نفسه بالقلق والحيرة كما قلنا . ومن بين هذه المسرحيات « رباعية من مقام فاديز La Quatuor en fa dièse » في

سنة ١٩٢٠ وفيها يجسد مأساة موسيقى تزوج فتاة يحبها ثم خانها مع غيرها فطلقت منه وتزوجت أخاه . ولكنها ظلت تحب فى أعماقها زوجها الأول ولم تستطع أن تحب زوجها الجديد إلا بعد أن رأت زوجها تقديم يحب أخاه حباً صادقاً عميقاً فأصابها هذا الحب بعدوه وبذلك تخلصت من أزمة ضميرها بعد أن عانت منها الكثير . ومسرحية « قلب الآخرين » سنة ١٩٢١ ومسرحية « محطم الأصنام » سنة ١٩٢٣ ومسرحية « رجل الله » التى نقدم لها الآن سنة ١٩٢٥ ومسرحية « طريق العقمة » سنة ١٩٣٦ ومسرحية « سم الأفعى » سنة ١٩٣٨ .

رجـــل الله

كتب إذن جبرييل مارسيل هذه المسرحية « رجل الله » فى سنه ١٩٢٥ . أى قبل أن يعود إلى اعتناق الكاثوليكية والإيمان بها وبالتالى الإيمان بفكرة وجود الله . فهى من فترة القلق والحيرة والبحث عن حقيقة الإنسان ومصادر سلوكه فى الحياة . ولعلها خير مسرحياته لا من الناحية الفكرية التى يتسم بها مسرحه كله بل ومن الناحية المسرحية الخالصة أيضاً فهى تجسد تجسيداً قوياً عنيفاً أزمة ضمير اجتاحت رجلا

من رجال الدين هو فرنسيس ليموان الذى خانته زوجته إدميه مع عشيقها ميشيل ساندييه ، وأنجبت من هذا العشيق الفتاة أسموند وعلم الزوج بخيانتها وأن الطفلة ليست ابنته ، ولكنه بحكم عمله كقسيس يدعو إلى الغفران ، ويحرص على سمعته وسمعة بيته كرجل دين ، يغفر لزوجته خيانتها ويتبنى الطفلة وينسبها إليه ، وتكبر الطفلة حتى تصبح فتاة ناضجة وإذا بالعشيق القديم الذى توارى عن أنظار الزوجة سنين طويلة يفاجئ الأسرة بزيارته ، وهو مريض محطم نتيجة لحياته العابثة الماجنة ويطلب أن يرى ابنته قبل أن يموت ، فتثير هذه الزيارة المفاجئة قلقاً عنيفاً فى ضمير القسيس تدفعه إلى أن يخبر ابنته بحقيقة الواقع وكأن هذه البنت المسكينة كانت تحس إحساساً غامضاً بالجو غير الطبيعى الذى يسود علاقة والدها المزعوم بوالدتها حتى لتراها تصرف اهتمامها كله ومحبتها لطفلين لجار الأسرة السيد ميجال ، الذى توفيت زوجته وتركت هذين الطفلين يتيمين . وتشتد أزمة الضمير بالقسيس ليموان حتى ليهم بالانتحار ، ولكنه يعدل عنه لشعوره بمسئوليته نحو رعايا الكنيسة ، وارتباطه بهم ، وربما أيضاً لخوفه وإشفاقه من فضيحة مثل هذا الانتحار وتساؤل الناس عن أسبابه ؛ وفى النهاية ترى الزوجة تشفق بعشيقها الموشك على الموت فى المستشفى ،

فتقرر زيارته وحدها بينما ترفض الابنة مصاحبتها فى زيارة هذا الرجل الذى تعتبره غريباً عنها والذى لم تره فى حياتها ، ولا عرفت أنه أب يعنى بها ويتحمل مسئوليتها طوال عمرها ، ثم هاهو يفاجئهم بزيارته بعد أن تحطم ولم يعد غير شبح إنسان . وتفضل أسموند أن تغادر منزلها الموبوء إلى منزل جارها لتعمل مربية لطفليه اليتيمين اللذين أحبتهما ولم تأل جهداً فى رعايتهما والحدب عليهما . فتحزم أمتعتها وتغادر البيت الذى لم يبق فيه غير القسيس المسكين الذى تفترسه أزمة ضميره ، والذى يبحث عن حقيقته كإنسان ، وهل هو قسيس كما تقضى مهنته . أم أنه لا يزال بشراً على نحو ما أحس من وجوده ذاته قبل أن يصبح قسيساً تقتضيه مهنته الغفران والتسامح . متجاهلاً وجوده وحقيقته البشرية كإنسان له غرائزه وضميره الذى غرسته فيه تقاليد المجتمع البشرى الذى يعيش فيه ، وبذلك تتجسد فى هذا القسيس المسكين أزمة الضمير التى تجعل من هذه المسرحية ؛ دراما الضمير العاتية وقد تقمصت تلك الأزمة إنساناً من لحم ودم لا مجرد شخصية رمزية غير محددة الأبعاد النفسية والاجتماعية ذلك التحديد الذى ينجح فى إيهامنا بأننا بإزاء شخصية واقعية . وفى نجاح المؤلف فى هذا الإيهام وفى دقته فى تصوير هذه

الشخصية وتحديد أبعادها سر القيمة الدرامية الحقة لهذه المسرحية التي وإن تكن من صميم المسرح الذهني الذي ساد في فرنسا وغيرها في فترة ما بين الحربين وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وما سببته من أزمة ضمير عالمية دعت المفكرين والأدباء إلى اتخاذ الأدب وسيلة لمناقشة وبحث قضايا الإنسان الكبرى بحثاً ذهنياً خالصاً . نقول بالرغم من هذا الطابع الذهني ؛ فإن هذه المسرحية بالذات قد احتفظت رغم ذهنيتها بقوتها الدرامية ، وبقدرتها الواضحة على الإثارة الفكرية الملونة بالعاطفة وظلال الضمير الإنساني المعذب الباحث عن حقيقة الإنسان . وهل تستطيع مقتضيات المهنة أن تغير من هذه الحقيقة أم أن كل ما تستطيعه هو خنقها إلى حين ، وإلى أن تسنح أول فرصة لبعث هذه الحقيقة من جديد بما ينجم عنها من صراع عنيف بين الإرادة والحقيقة . فالقسيس أراد أن يكون خيّراً غفوراً متسامحاً ، ولكن حقيقته الإنسانية لم تلبث أن دخلت في صراع عنيف ظل كامنا حتى كانت زيارة العشيق المفاجئة ، فإذا به ينقلب إلى صراع صريح عنيف ؛ انطلقت شرارته المحرقة بمجرد أن اضطر الرجل إلى أن يعترف لابنته الضحية بحقيقة الوضع ،

بالرغم من وعده السابق لزوجته بألا يخبر ابنتها بشيء من هذه الحقيقة . ولكن الرجل ناء تحت عبء هذا الوعد واضطر إلى أن يتحلل منه عندما شعرت زيارة العشيق النار فى نفسه ، بل وهم بالانتحار وإن يكن تمزق نفسه قد عاد فثناه عنه .

وعلى أية حال فإن احتفاظ جبرييل مارسيل بفكرة الضمير وعدم تخلصه من هذه الفكرة حتى فى فترة الشك الطويلة من حياته . وتأثره بنزعة الإلحاد التى سادت بيئته العائلية . . . نقول إن احتفاظه بفكرة الضمير وتجسيده لمشاكل هذا الضمير فى الكثير من مسرحياته فضلا عن كتاباته الفلسفية الخالصة يعتبر أكبر دليل على أن نزعة الإلحاد لم تكن قد نفذت إلى أعماقه ، لأن فكرة الضمير فكرة دينية أخلاقية فى جوهرها وفى استمرار هذه الفكرة حية مؤثرة فى نفس جبرييل مارسيل ما يوضح استعداده للعودة إلى الدين ثم رجوعه العلنى إليه فى سنة ١٩٢٩ ، بينما نرى الوجودية الملحدة وبخاصة عند زعيمها سارتر تنكر لفكرة الضمير تنكراً تاماً كنتيجة حتمية لتنكر لفكرة وجود الله فى ذاته ، فالوجودية الملحدة لا تنكر

للتراث الأخلاقى والاجتماعى وحده بل تنكر أيضاً لفكرة الله وتعلن أن كل هذا التراث قد ثبت فشله وجاءت الحروب الوحشية العالمية أكبر دليل على هذا الفشل بعد أن عجز هذا التراث كله عن أن يقى البشرية أهوالها الفظيعة .

ولعله من الشيّق والمفيد أن نقارن لزيادة الفهم والإيضاح فيما يختص بالفارق الواضح بين الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة من حيث مشكلة الضمير . نقارن بين مسرحية « رجل الله » لمارسيل ومسرحية « الذباب » التى ترجمها إلى العربية الدكتور محمد القصاص باسم « الندم » وهى لجان بول سارتر زعيم الوجودية الملحدة . والذباب فى هذه المسرحية يرمز للندم النابع من الضمير على نحو ما ما فهم بحق مترجمها الدكتور القصاص . وفى هـــذه المسرحية نرى البطل الأسطورى الإغريقى القديم « أورست » يتحول عند سارتر إلى إنسان وجودى . فهو كما تقول الأسطورة القديمة يتفق مع أخته « إلكترا » على قتل أمهما « كليتمنسترا » وعشيقها « إيجست » بعد أن تآمرا معاً على قتل أبيهما « أجمنون »

بعد عودته من حرب طرواده لكى يخلو لها الجو ، كما ينفيان « أورست » حتى لا ينغص عليهما حياتهما ، بينما يستبقيان أخته « إليكترا » لكى تعمل كخادمة فى القصر . ثم يعود « أورست » من منفاه ويتعرف على أخته عند قبر أبيهما . عند ما جاءت لتقدم قربانا لروحه وعند هـذا القبر يتفقان على الانتقام لأبيهما . وينفذ « أورست » هذا الانتقام على نحو ما تقول الأسطورة القديمة سواء بسواء ولكن مع فارق كبير ضخم هو أن أورست لم تتبعه بعد قتل أمه فضلا عن عشيقها آلهة الانتقام كما تقول الأسطورة القديمة نفسها ، بل تحولت هذه الآلهة فى مسرحية سارتر إلى مجرد ذباب أخذ يطن فى أذنى أورست بعد قتله لأمه ولكن أورست لا يعبأ بهذا الذباب ولا بطنينه ، لأنه قد تخلص كوجودى ملحد مما نسميه الضمير كراسب دينى وأخذ يؤمن بأنه لا محل لهذا الضمير ولا للندم ما دام قد ارتكب ما ارتكب عن تفكير واقتناع وإرادة حرة يجب أن يتبعها تحمل شجاع لمسئولية عمله كاملة . ولهذا نراه لا يحفل بالذباب فحسب بل ويتحداه ويتهدده بالهلاك إذا جرؤ على متابعته إلى

إلى خارج المسرح والستار النهائى ينزل ، وأما « إليكترا » فتراها تخشى هذا الذباب . أى تخشى الندم الذى يرمز له الذباب وتفزع منه ، وذلك لأنها لم تصبح بعد وجودية حتى الأعماق .

وهكذا نرى كيف أن الضمير لم يعد مشكلة بالنسبة للوجودية الملحدة التى يؤمن بها سارتر ومدرسته ، بينما نرى هذا الضمير لا يزال المشكلة الأولى التى تلاحق جبرييل مارسيل حتى فى فترة شكه وإلحاده وقبل أن يعود إلى الدين والإيمان به فى سنة ١٩٢٩ ، وذلك بدليل مسرحية « رجل الله » نفسها التى كتبها مارسيل سنة ١٩٢٩ أى قبل أن يعود إلى الإيمان بأربع سنوات ، ففى هذه المسرحية يجسد مارسيل كما قلنا أزمة الضمير والحيرة والقلق وعذاب النفس عند رجل الدين القسيس ليحوان . وفى حوار هذه المسرحية السريع والعميق فى الوقت نفسه ما يشهد بعمق هذه الأزمة وضراوتها لا فى نفس القسيس وحده بل وفى نفس المؤلف أولا وقبل كل شىء ، فمسرح جبرييل مارسيل كله ما هو إلا تعبير عن مشاكل روحه الخاصة وإن حاول أن يعطيها طابعاً موضوعياً ولا أدل على ذلك من الحرارة

المحرقة التى نحسها فى حواره والتى لا نستطيع تفسيرها إلا بأنها حرارة نفس المؤلف المكتوية بالشك والقلق واللهفة فى البحث عن حقيقة الإنسان ومنابع سلوكه العميقة التى قد تتصارع فيها القيم وتشتبك وتتداخل ويحاول بعضها أن يطغى على بعض ، ولكن لا يلبث الطاغى منها أن ينهار بمجرد أن تصحو العناصر الأخرى من غفوتها الإرادية ، على نحو ما نحس بانهزام العناصر المهنية فى نفس القسيس ليوان بمجرد أن تستيقظ فى نفسه العناصر الإنسانية المنظورة والمكتسبة إثر عودة العشيق القديم إلى بيته وطلبه رؤية الزوجة عشيقته القديمة وابنته منها « أسموند » قبل أن يتلقفه الموت المبكر نتيجة لحياة الاخلال والعربدة التى عاشها على حساب الشرفاء من الناس .

هذه هى مسرحية « رجل الله » التى نغتبط بتقديمها إلى قراء العربية الذين سبق أن طالعوا فى لغتنا عدداً من مسرحيات الوجودية الملحدة وبخاصة السارترية وكان من المفيد جدا أن يطلعوا أيضاً على هذه المسرحية التى تعتبر من مسرحيات الوجودية المؤمنة رغم أن مؤلفها جبرييل

مارسيل قد كتبها وهو لا يزال فى مرحلة الشك الشبيه بالإلحاد وذلك بسبب ما سبق أن أوضحناه من أن جبرييل مارسيل لم يصل الإلحاد قط إلى أعماقه بدليل هذه المسرحية ذاتها وهى مسرحية دراما الضمير الإنسانى المؤمن .

مسرحيات المواقف

وأما من ناحية البناء الدرامى لمسرحية « رجل الله » فواضح أنها من النوع الذى يسميه النقد الحديث بمسرحيات المواقف ، وهو اصطلاح أذاعه سارتر فى الأدب والنقد ، وله عدة مجلدات بعنوان مشترك هو مواقف ؛ يحلل فيها مواقف إنسانية مختلفة ونوع السلوك الذى يفرضه كل موقف . وكذلك المسرحيات الوجودية ففى كل منها ترتفع الستار عن موقف تجمعت خيوطه التى تجعل منه أزمة من أزمات السلوك البشرى . والمسرحية الوجودية على هذا الوضع تكاد تشبه المسرحية الكلاسيكية التى ترتفع عنها هى الأخرى الستار وقد تجمعت خيوطها بحيث

لا يكاد يتم عرض هذه الخيوط وتعريفنا بها وبالشخصيات المشتبكة فيها حتى تأخذ الأحداث فى التطور فالتأزم حتى القمة ، فالانفراج . ومع ذلك فالمسرحية الوجودية تختلف عن المسرحية الكلاسيكية اختلافاً واضحاً فى أن الموقف فيها ليس أزمة أحداث درامية . بل أزمة فكرية خالصة على نحو ما نرى فى مسرحية « رجل الله » التى لا تضم أحداثاً درامية كبيرة تهز النفس ، بل تصور مزقاً تجمعت خيوطه من قبل وإن كان المؤلف قد احتفظ بعنصر التشويق قائماً بإخفائه عنا حقيقة هـذا الموقف الذى لم نتبينه . أو لم نبدأ تبينه إلا عندما يعود ميشيل ساندييه العشيق السابق إلى بيت القسيس محاولا رؤية عشيقته القديمة زوجة القسيس وابنته منها ، وبهذه العودة تحتد أزمة الضمير عند القسيس الذى يكشف لأسموند ابنته المدعاة . ولنا عن حقيقة هذا الموقف . ثم ينطلق المؤلف ليعرض لنا هـذه الأزمة ونتائجها عند أطرافها المختلفة ، على أساس صراع الضمير الذى يجرى داخل نفوس هذه الأطراف .

المسرحية إذن من النوع الذهنى ، ولكنها لما كانت

تقوم على موقف وعلى أزمة ضمير ، ولما كان المؤلف قد احتفظ بسر هذه الأزمة ، وبذلك احتفظ بجب استطلاعنا فإن المسرحية قد نجت من الركود أو الفتور الدرامى وجاء بناؤها سليما من الناحية الفنية ، وإذا كانت الأحداث فيها قليلة هادئة ؛ فإن الفن هو أن نخلق شيئاً من لا شيء كما يقول الشاعر الدرامى الكبير جان راسين . كبير الكلاسيكيين الفرنسيين .

وتظهر المهارة الدرامية عند المؤلف فى تمهيده الطويل للحلول التى رسمها لهذه الأزمة عند الأطراف المشتركة فيها . فمنذ الفصل الأول نرى الابنة الضحية أسموند وقد أخذت تتعلق بالطفلين اليتيمين ابنى جارهم ميجال ، وتعنى بهما ، وتصحبهما إلى الحدائق العامة ؛ بحيث عندما نراها بعد انفضاح الموقف تحزم متاعها لكى تعمل عند هذا الجار كمربية لأطفاله لا نفاجأ بهذا الحل بل نراه متمشياً مع المقدمات التى ساقها المؤلف بين يديه . وكذلك نحس بارتباط القسيس برعايا كنيسته وبإحساسه بمسئوليته نحوهم بحيث لا يدهشنا فيما بعد أن نراه يعدل عن الانتحار حرصاً على سلامة رابطته بهؤلاء الرعايا وموقفه منهم .

وأما الزوجة فهى الوحيدة التى تفاجأ بنبأ إفشاء الزوج للسر لابنتها أسموند وبذلك نوّع المؤلف بين المواقف والحلول ومهد لكل منها تمهيداً مقنعاً أزال عن مسرحيته كل شبهة من الافتعال أو تلفيق الحلول ، وهذا هو المنطق الدرامى السليم الذى لا يعتمد على المفاجآت أو الحلول المبتسرة التى لم يمهد لها المؤلف . وفى كل هذا ما يبرر تماماً حكمنا العام على هـذه المسرحية بأنها وإن تكن مسرحية ذهنية ، ومسرحية موقف إلا أن المؤلف قد عرف كيف يحتفظ لها بقيمتها الدرامية وكيف يحول التفكير فيها إلى ضرب من الحركة .

محمد مندور

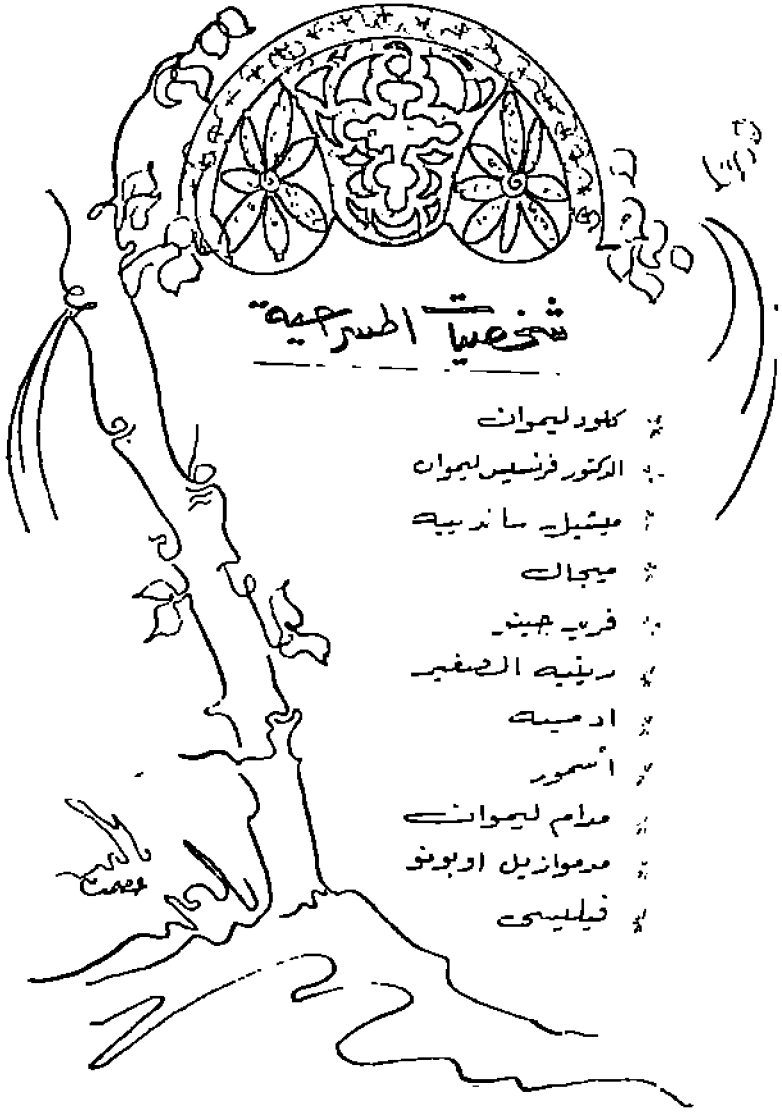
شخصيات المسرحية
كلود ليموان
الدكتور فرنسيس ليموان
ميشيل ساندييه
ميجان
فريد جينو
رينيه الصغير
ادميه
أسمور
مدام ليموان
مدموازيل اوبونو
فيليسي

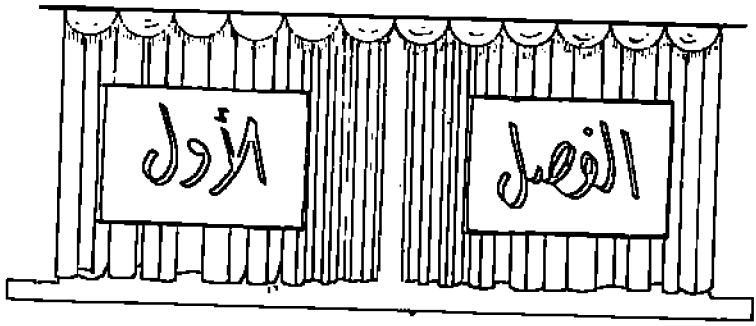

[صالون عائلة « ليوان » . . الأثاث عادى مبتذل تتبع فيه البرودة . . . على الجدران لوحات دينية « لبورنان » ونسخة من لوحة عذراء سان « سكست »] . .

المنظر الأول

أسموند و ميجال

[الاثنان واقفان ، و « ميجال » لم يخلع معطفه] . .

ميجال : أرجو المعذرة يا آنستى . . أرى أنك ما زلت تتناولين طعامك . . ومع ذلك فقد طلبت من الخادم ألا تزعجك . .

أسمونـد : تفضل بالجلوس . [يجلس ميجال] . ليس لهذا أية أهمية . فنحن نتناول إفطارنا أيام الآحاد فى ساعة متأخرة جداً . فهناك دائماً أشخاص يودون التحدث مع أبى عند خروجه من المعبد . . هذا إلى أننا كدنا نفرغ من تناول الإفطار .

ميجال : لقد كان لطيفاً منك أن تقترحى الخروج لحظة مع الأطفال هذا العصر . . ذلك إذا لم أكن قد أخطأت الفهم . . وقد أردت أن أتأكد حقاً أننى لا أسىء استغلال . . .

أسمونـد : كلا . على الإطلاق . . . فأنا لست مشغولة هذا العصر بطريق الصدفة .

ميجال : لست أدرى كيف أشكرك . . خاصة وأننى لم أكن أعلم ما أصنع بالأطفال اليوم . . فالخادم غائبة طيلة النهار . . وأنا ذاهب إلى « إيبينيه » .

أسموند : ومدام ميجال ؟

ميجال : لا تغيير هناك . . . ذلك أن مرضاً مثل هـــذا المرض . . . هذا إذا استطعنا أن نسمى ذلك مرضاً .

أسموند : أهى تتعذب ؟

ميجال : من المحال أن يحكم المرء . . فهى تشكو باستمرار . . ولكن الأطباء يؤكدون لى أن للإيحاء الذى دخلا كبيراً فى الموضوع .

أسموند : آه ؟

ميجال : والواقع أن هذه هى السمة الوحيدة التى تذكرنى بما كانت عليه من قبل . . وإلا فإنه لو كان الأمر على خلاف ذلك . لما كانت هى نفس الشخص . . [بصوت خافت] بل إنه لم يعد فى وسعنا أن نقول إنها شخص على الإطلاق . .

[صمت] . .

أسموند : لست أدرى إذا كانت « سوزان » قد أنبأتك بأنها أجابتنى إجابة جيدة جداً فى مدرسة الأحد هذا الصباح .

ميجال : من حسن الحظ .

أسموند : كما أنى راضية تماماً عن « إيفون » .

ميجال : إنهما طفلتان وديعتان . . ولكن إلى أين تصحبينهما هذا العصر ؟

أسموند : لست أعلم على وجه التحديد .

ميجال : إذا تصاهف ولم أعد من « إيبينيه » فى ساعة متأخرة جداً ، فإننا نستطيع أن نفعل ما فعلناه منذ خمسة عشر يوما . . .

أسموند : [متربة] سنرى . . . لندع هذا الأمر لوحى الساعة .

ميجال : [وهو يتفحصها] . . هذا جميل . . تصفيفة الشعر هذه تناسبك تماما .

[صمت] . . .

المنظر الثانى

الأشخاص أنفسهم — إدميه — كلود — مدام ليموان

إدميه : [موجهة خطابها إلى ميجال الذى انتصب واقفاً]
كلا . . يا سيدى . . أرجوك
[ثم موجهة خطابها إلى مدام ليموان]
أمى . . أقدم لك السيد ميجال الذى
يسكن فوقنا . . والسيد ميجال هو
والد تلكما الفتاتين الصغيرتين اللتين
التقيت بهما أمس على السلم .

مدام ليموان : سيدى . . . إننى مسرورة جداً
بمعرفتك . . .

كلود : هل لك فى فنجان من القهوة ؟

ميجال : [واقفاً] أشكرك . . ولكنى مضطر
للذهاب إلى إحدى الضواحى . . .
وكنت أعرب للآنسة أسموند عن
مبلغ شكرى وعرفانى بالجميل لكل

ما تصنعه من أجل طفلتي . . فقد
أقبلت ذات مساء لكي تساعدهما على
استظهار دروسهما . . وهي تريد الآن
أن ترافقهما للنزهة . .

إدميه : [في حياء] . . ولكن هـذا ،
يا سيدي ، أمر طبيعي ما دام لديها
من الوقت ما يسمح لها بذلك ؛

ميجال : لست من هذا الرأي . . لا تكلفوا
أنفسكم أي عناء . . إني الفداء يا سيدي
العزيز . . وأنت يا سيدتي . . وأنت
يا آنستي . . . [ينحني أمام مدام ليموان ،
ثم يغادر الصالون] . .

المنظر الثالث

الأشخاص أنفسهم عدا ميجال

مدام ليموان : هذا السيد يبدو مهذبا كل التهذيب .

إدميه : إننا لا نعرفه على الإطلاق .

مدام ليموان : إن نظرته تنم عن الصراحة . . وفمه مفعم بالحنان . .

أسموند : أتريدين شيئاً من القهوة يا جدتى ؟

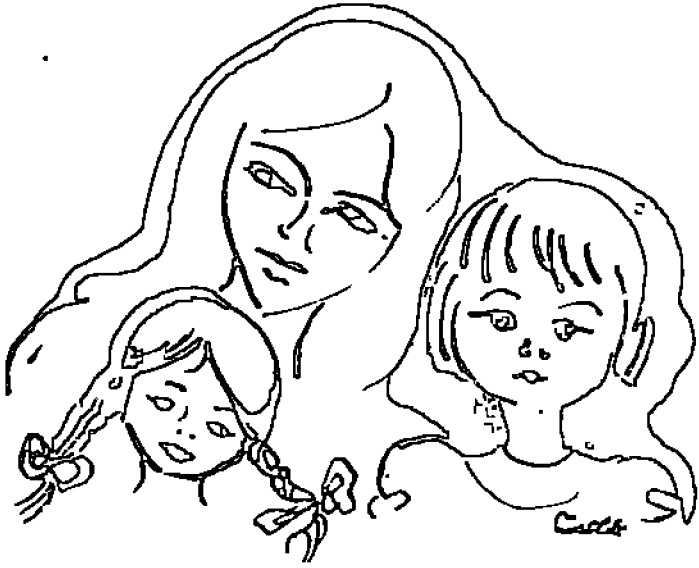

مدام ليموان : قليلا فى قاع الفنجان فحسب يا عزيزتى . . إن عمك فرانسيس يؤنبنى على شرب القهوة . . هذا يكفى . . هذا يكفى . .

كلود : وبهذه المناسبة ، لماذا لم يحضر فرانسيس لتناول إفطاره معك ؟

مدام ليموان : كان لا بد له من أن يعود أحد مرضاه فى ضواحى باريس . هذا إلى أنه سيأتى لمرافقتى . [بصوت خافت] . أعتقد أن لديه ما يريد أن يقوله لك .

إدميه : كيف ؟

مدام ليموان : قلت إنه سيأتى لمرافقتى .

إدميه : تعلمين أننا لا نراه مطلقاً . [توجه حديثها إلى كلود] إن أخاك لم يأت أكثر من مرتين أو ثلاث مرات منذ انتهاء العطلة .

مدام ليموان : ويجب أن يقال أيضاً : إنه مشغول جداً . . وقد رأيت ذلك بنفسى منذ أن أقمت هنا . . المستشفى ، والزيارات . والمواعيد . ومراسلاته مع الأكاديمية . . إننى أعجب كيف يحتمل هذا كله . [ملاحظة كلود] على كل حال . . إنه مثلك يا طفلى العزيز . . أوه ! نعم لست أنا الذى ألومك على القيام بكل

واجبك ، وبأكثر من واجبك ، كما يقول والدك . . ولكن يبدو أن العمل فى هذه الكنيسة ثقيل . . ثقيل جداً . . فهل تقوم مع هذا كله بما يكفى من التمرينات البدنية ؟ وأنت يا إدميه ، هل تحرصين على ملاحظة ذلك ؟ .

إدميه : نحن على أبدع حال .

مدام ليموان : إن الحياة فى باريس متعبة فى حد ذاتها ، إذا قيست بالحياة فى لوزان : إن قهوتك لذيذة وينبغى أن تعطينى وصفتها كى أصنع مثلها لفرانسيس . .

إدميه : آسفة لأننى لا أستطيع أن أصف لك شيئاً . . إذ لا بد من شراء البن من البقال الذى فى مواجهتنا . معذرة يا والدتى ! يجب أن أبحث عن مقطوعة للمطالعة من أجل « اتحاد الفتيات الذى أرعاه [تنحنى أمام مكتبه منخفضة] .

مدام ليوان : ولكن . . لنعد إلى الحديث عن هذا السيد ، فهل تشغلين نفسك بانتظام بفتاتيه اللطيفتين يا أسموند ؟ إن هذا شيء لطيف من جانبك .

أسموند : إنني أكرس لهما بضع لحظات من حين إلى آخر .

مدام ليوان : وأين أمهما ؟

إدميه : [وهي تصفح كتاباً] إن أمهما نزيلة أحد مستشفيات الأمراض العقلية .

مدام ليوان : يا للفظاعة !

إدميه : [مخاطبة أسموند] — إنني أعجب بعض الشيء كيف استطعت تبديد عصر هـذا اليوم ، وعيد الميلاد يوم الأربعاء ، ويبدو أن لديك أشياء كثيرة ينبغي أن تقومي بها .

أسموند : الأمر على العكس من ذلك . . فأنا قد انتهيت من أعمالي مبكرة هذا العام .

إدميه : إن هديتك التى سوف تقدمينها إلى عرابتك لم تبدئى العمل فيها بعد . .

مدام ليمون : إن الحزن ينتابنى كلما تصورت أننى لن أرى شجرة عيد الميلاد عندكم . . إذ أن هنرى ولوليت يعتمدان على . . وستملأ الحسرة قلبيهما إذا لم أحتفل معهما بالعيد . . من العسير جداً إرضاء الناس جميعاً . . وهذا هو مصدر شقاء الأسر التى تتحد فيما بينها أوثق اتحاد .

إدميه : [إلى أسموند] — أتذكرين قصة « يتيمة الدائرة الكنسية الصغيرة » ؟

أسموند : أرينى .

[توحى أسموند بتقليب صفحات الكتاب] .

مدام ليمون : أنا أذكرها . إنها قصة شيقة . . وعلى كل حال إن جميع الكتب المنقولة عن الإنجليزية رائعة .

إدميه : [وهى تفتح الكتاب] — يبدو لى أن هذا

الكتاب عاطفى إلى حد مخيف ، فى حين أن هؤلاء الفتيات الصغيرات على استعداد تام للبكاء من هذه الترهات .

كلود : المهم هو العمل على تشويقهن .

إدمية : لا ينبغى أن يكون ذلك بأى ثمن . .

مدام ليموان : مما لا يضر ، أن يكون هناك قدر قليل من الغرابة . قدر بسيط جداً . . [موجهة كلامها إلى أسموند] ما رأيك يا عزيزى ؟

أسموند : [وقد نهضت] لست من هذا الرأى .

إدميه : أظنك لم تنسى أن الآنسة « چنتى » تعتمد عليك لكى تقومى لها بشىء من المطالعة فى الساعة الخامسة ؟

أسموند : [فى عصبية] اطمئنى .

إدميه : من الجميل جداً أن يخلق المرء لنفسه التزامات جديدة .

أسموند : إلى اللقاء يا جدتى . . ماذا تفعل هذا العصر يا أبى ؟

كلود : سأكتب خطاباً أو خطابين . ثم على أن أعد موعظة الغد .

إدميه : سيمونان الصغير ؟

مدام ليموان : أنا على يقين من أنك لا تنسين شيئاً مطلقاً يا إدميه . . هذا رائع .

أسموند : [فى مرارة] كلا . . إن أمى لا تنسى شيئاً على الإطلاق . . إن أمى مريعة .

[تخرج] . .

المنظر الرابع

الأشخاص أنفسهم عدا أسموند

مدام ليموان : الصغيرة العزيزة عصبية قليلا .

كلود : [مخاطباً زوجته] . لعلها تشعر بأنها لا تظفر بما يكفى من الثقة .

إدميه : وأنا لا أطلب أفضل من أن أوليها كل ثقتى . . ولكنها على الرغم من مظهرها الحادئ تبدو مندفعة ، وأنا

ألاحظ هذا الاندفاع يوماً بعد آخر .

كلود : إنى لأتساءل : ألسنا حين نسجل أخطاء الغير نبالغ فى هذه الأخطاء . إذا جاز لنا هذا التعبير . . ألا تعتقدين ذلك يا أماه ؟

إدميه : إذن . . . أجب على المرء أن يغمض عينيه ؟

كلود : أنا لا أقول ذلك . ولكن طريقتنا فى معاملة الآخرين . . .

إدميه : أعلم ذلك ، ولكن مثل هذه النظرية من شأنها أن تؤدى بنا إلى الإسراف . .

مدام ليموان : مهما يكن من أمر فأنا شغوفة بجدتى غاية الشغف . . . تعلمان أنه يجرى العمل الآن فى لوزان على تنظيم بعض المحاضرات خلال فصل الصيف وبعض الرحلات و . . .

كلود : وأنت . . ستذهبين إلى هناك . .

مدام ليموان : طبعاً . .

كلود : ولكنني لا أشعر بأية رغبة في إعارتك ابنتي

إدميه : سنتحدث عن ذلك فيما بعد . . . [مخاطبة كلود] ولكن بماذا سترد على السيد جينسو ؟ [مخاطبة مدام ليموان] : إن فرنسيس ، لاشو دي فون » يطلب منا أن ندله على بنسيون ليقيم فيه ابنه الذي يستعد لامتحان « الليسانس » . . أتعلمين ؟ أن اسمه ، فريد » .

كلود : إذا كنت تعتقدين أننا نستطيع أن نخلي له الحجرة الصغيرة . وأنها تلائمه . . .

إدميه : ينبغي على الشباب أن يتكيف مع الظروف . . أليس كذلك يا أماه ؟

مدام ليموان : كم أكون سعيدة لو أن فرانسيس لم يرغمني على النزول عنده . . ولكني على كل حال على خير ما يرام .

كلود : إذن فسأرد عليه بهذا المعنى . . [يخرج]

المنظر الخامس

إدميه — مدام ليوان

مدام ليوان : خبرينى يا إدميه . . . إن فريد شاب ، ألا تعتقدين أن أسموند . . ؟

إدميه : أنه شاب مدلل . . ولا أظن أن أسموند يمكن أن تميل إلى هذا الطراز من الشبان . . كلا . . إنه ليس ذلك الشخص الذى يمكن أن أخشى عليها منه . .

مدام ليوان : أتريدين أن تقولى إن لديك مخاوف أخرى ؟

إدميه : نعم . . وكلا . . فمثلا هذا السيد الذى غزا قلبك للوهلة الأولى . .

مدام ليوان : يا لها من مبالغة !

إدميه : حسن . . لن أفاجأ إذا علمت أنه بسبيل إغراء أسموند .

مدام ليموان : [مستنكرة] ولكن . . ما هذا الذى تقولين يا إدميه !

إدميه : إن أسموند لا تميل كثيراً إلى الأطفال على وجه العموم . . ولا شك أن الذهاب إلى مدرسة الأحد عبء ثقيل بالنسبة إليها . . وعلى هذا الأساس يجب أن تدركى أن العطف الذى تبديه نحو هاتين الطفلتين يبعث على الدهشة إلى حد كبير .

مدام ليموان : إن أسموند تشبه والدها الذى هو العطف بعينه . وأخيراً أريد أن أقول إن وجود هذا المثل أمام عينيها دائماً لا يجعلنا نعجب إذا رأيناها تعطف على هاتين الطفلتين المسكينتين . . ثم انظرى يا إدميه . . فى الحياة . . . [فى شىء من الرزانة] ينبغى أن نشعر دائماً بالثقة فى غيرنا .

إدميه : أه ؟

مدام ليموان : دائماً . . ورغم كل شىء . . [illegible]

إدميه : بماذا أستطيع أن أجيبك ؟

مدام ليموان : لقد رأيت حولى كثيراً من الأشياء القبيحة ، يا إدميه . . ومع ذلك ، وبرغم هذه التجارب المحزنة . .

إدميه : [بصوت متهدج] ماذا تعنين بهذا التلميح ؟

مدام ليموان : [متمالكة نفسها مرة أخرى] أوه . هـذه قصة قديمة .

إدميه : آه . . نعم ؟

مدام ليموان : ولكن . . لقد كان هناك حينئذ ما يدفع إلى اليأس .

إدميه : أجل . . أجل . . أجل . . من العجيب جداً أن كلود لم يشر مطلقاً أمامى . . . إلى تلك الحادثة التى يبدو أنها قلبت كيانك فى حينها . . . أليس كذلك ؟ انها سر بلا شك ؟ سر لا يخصه أن . . . [تأتى مدام ليموان بحركة تنم عن الرغبة فى التخلص من الموضوع]

مدام ليموان : ولكنه من الطبيعى ... إذا كان لديك هذا القلق . . .

إدميه : [بعد أن ألقت إليها بنظرة متسائلة] أه . . . حسن . . إنك تتحدثين الآن عن أسموند . . لم أكن أتابع حديثك . . من المبالغة أن نسمى هذا قلقاً . . ولكننى أرتاب . . . هذا كل ما فى الأمر .

مدام ليموان : ولكن يبدو لى برغم ذلك أنها تشبه أباها إلى حد . . .

إدميه : أترين ذلك ؟

مدام ليموان : فى الأخلاق على كل حال . .

إدميه : [فى لهجة ساخرة] أجل ، أجل . .

مدام ليموان : « إن لنفسيهما نبرة واحدة » كما كان يقول زوجى المسكين . .

إدميه : لم أحظ بالاستماع إلى نفس ابنتى .

مدام ليموان : ولكن إذا كان كلود يشاطرك هواجسك . . إذن لكان قد أنبأنى بكل تأكيد .

إدميه : هل ينبئك كلود بكل شىء ؟

مدام ليوان : بكل ما له الحق فى أن يفضى به إلىّ ؛

إدميه : نعم إننى عندما أرى هذا المجلد الصغير الذى يبعث به إليك كل أسبوع . .

مدام ليوان : ليس فى مقدورى مطلقاً أن أعبر عن الأثر الطيب الذى تركته فى نفسى هذه المراسلات . . لقد أعدت قراءة رسائل كلود القديمة منذ عهد قريب . . إن منها رسائل جميلة ، ومؤثرة حتى كدت أن أنسخ لك منهـا بعض الفقرات . .

إدميه : ما هو تاريخ هذه الرسائل ؟

مدام ليوان : الأعوام الأولى من زواجك .

إدميه : وتقولين إنها مؤثرة ؟

مدام ليوان : كان كلود فى هذه الفترة يجتاز أزمة ضمير مؤلمة جداً . . وأنت تعلمين جيداً أنه فكر بعض الوقت فى التخلى عن منصبه . . .

إدميه : كيف ذلك ؟

مدام ليموان : لا أظنك تريدين منى الاعتقاد بأنك لم تعطنى إلى شيء . .

إدميه : كلا . لم أفطن إلى أى شيء . . إن الأوقات الأولى من حياتنا الزوجية كانت . . . . الواقع أننا لم نكن قد وصلنا إلى حد الألفة بعد . . ولكننى أطلب منك مرة أخرى أن تحددى لى بدقة تاريخ هذه الخطابات . هل بعث بها إليك قبل عام ١٩٢٨ مثلا ؟

مدام ليموان : إنها جميعاً سابقة على عام ١٩٢٨ . ولماذا تسألين هذا السؤال ؟

إدميه : أمى . . أؤكد لك أنه لا داعى للتظاهر . . فأنت قد اعترفت منذ لحظة بأنك . . صه !

المنظر السادس

الأشخاص أنفسهم — كلود

كلود : أتذكرين عنوان چينو » ؟ إننى لا أستطيع العثور على خطابه . . أهو لا يزال شارع كارل ماركس ؟

إدميه : يبدو أنهم انتقلوا إلى عنوان آخر . . ألا تذكرين يا أماه ؟ .

مدام ليوان : إن صلتى بهم قد انقطعت . . فقد أصبحوا بلاشفة مثل سائر سكان « لاشـــو دى فون » . [مخاطبة كلود] : وكان والدك الذى يتمتع بفطرة سليمة . . يخشى حدوث هذا .

إدميه : من الغريب حقاً ألا تجد هذا الخطاب ، فقد وضعتُه هذا الصباح فى ملف الخطابات التى لم يُرد عليها بعد .

كلود : أه . . حسن . .

إدميه : وبعد ياكلود ! . . ألم أقل لك مرة أخيرة أن تضع شيئاً من النظام فى هذا المنزل !

كلود : النظام إلى هذا الحد ، إن ذلك يدفعنى إلى الجنون . . سأنهى هذا الخطاب . . ثم أعود [يخرج] .

المنظر السابع

إدميه — مدام ليموان

إدميه : أما عن أزمة الضمير هذه . . إن كلود من أولئك الأشخاص الذين لم يعرفوا مطلقاً بعض أنواع القلق . كل شىء لديه واضح كل الوضوح ، بسيط كل البساطة . . لحسن الحظ ، يا إلهى ! وإلا فكيف كان يمكن أن يكون مصيرى ؟ .

مدام ليموان : إننا ندين له جميعاً بدين كبير . . هذا شيء مؤكد .

إدميه : أوه . . ولكنني لا أتحدث مطلقاً عن الاعتراف بالجميل . . فليس من شأننا أن نشكر شخصاً لأنه على ما هو عليه . [في لهجة عميقة] إذن فأنت واثقة أن تلك الأزمة حدثت قبل عام ١٩٢٨ ؟

مدام ليموان : وبعد هذه الفترة حدث عكس ذلك : وكأنما ساد الهدوء ، وكأنه صار يرى نوراً لم يكن قد رآه من قبل :

إدميه : نوراً ؟

مدام ليموان : نعم : ذلك النور الذي لا يظهر إلا عندما يسود الظلام تماماً . [فترة صمت] لماذا تضحكين ؟

إدميه : [في صوت خافت] أه . . . يالها من وعود !

مدام ليموان : أية وعود ؟

إدميه : لقد وعدنى بألا تعرفى شيئاً على الإطلاق . .

مدام ليموان : ولكن يا إدميه . . فى النهاية ؟ ؟

إدمية : أوه . . لم تعد هناك جدوى فى محاولة خداعى . . إن هذا السر . . سرنا ، لقد . . . أفشاه !! هذا التعس .

مدام ليموان : هو . . تعس ! أتجرئين على إهانته !

المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم — كلود [ممكاً بخطاب فى يده]

كلود : انتهيت من خطابى . . فإذا خرجت كان فى وسعك إيداعه صندوق البريد .

إدميه : اليوم يوم الأحد ، وأعتقد أنه لن يصدر اليوم . . هذا إلى أن الأمر لا يتوقف على يوم . . وعلى كل حال تستطيع أن تعطينى إياه . . كم الساعة الآن ؟

[تكشف هذه الحركات المضطربة عن حيرتها الباطنة . .] .

كلود : ولكن ماذا ألم بك يا إدميه ؟

إدميه : لا شيء . . لا شيء على الإطلاق .

كلود : أماه . .

إدميه : هل سأجدك عندما أعود بعد قليل ؟

كلود : يبدو أن فرانسيس سيأتى . . وسأنتظره .

إدميه : نعم.. ولكن أنت . . أنت .. إنى لن أمكث طويلا . [فى صوت أكثر خفوتاً] أريد أن أجدك وحدك . . . أتفهم ؟ وسأرتب أمورى هناك . . فمن الممكن أن يحل محلى شخص آخر .

مدام ليمان : أما أنا ، فسأكون قد رحلت عند عودتك يا إدميه .

إدميه : إلى اللقاء . يا أماه ! [تخرج]

المنظر التاسع

كلود ـ مدام ليموان

كلود : ماذا حدث ؟

مدام ليموان : لقد ارتكبت هفوة طائشة يا طفلى المسكين . ولست أدرى كيف انسقت إلى ارتكاب هذه الهفوة [توشك على البكاء] والغريب فى الأمر أنى لم أقع فيها قبل ذلك بزمن طويل . . لقد اكتشفتْ إدميه منذ لحظة أنك رويت لى كل شىء . [صمت]

كلود : [فى عزم] هذا أفضل . . اعلمى يا أمى أن هذه الكذبة التى كذبتها عليها ، كانت تجثم ثقيلة على قلبى . . وكم من مرة أنبت نفسى على اقتراف إياها . . ولولا أنى كنت أشعر بنوع غامض من الخوف لا أدرى له سبباً ، لاعترفت لها منذ سنوات بأننى قد . .

مدام ليموان : يا لها من كلمة . . !

كلود : لقد كنت قد تعهدت بألا أخبرك بشيء .

مدام ليموان : لأنها طلبت منك ذلك . . ولكن أى حق لها فى مثل هذا الطلب ؟

كلود : لا يهم . . فقد وعدت .

مدام ليموان : تذكر ، على أية حال . . . أنها هددت بالرحيل . . بل لعلها كانت . . ما عاينا ! إن الوعود التى نقطعها لشخص مريض ! !

كلود : مهما يكن من أمر ، فإنه كان يجب علىّ منذ أن استردت إدميه صحتها ، ومنذ أن شفيتُها ، أن أفضى إليها بكل شيء . ولا بد أنها عندئذ كانت ستفهم . . وأنت نفسك تقولين دائماً إنه ينبغى أن يشعر المرء بالثقة . . هذا إلى أنى عندما قطعت هذا الوعد على نفسى . . كنت على استعداد للوفاء به ، ثم حدث ذات يوم .. ولست أدرى لماذا . . . إنى لم أشعر

بالوحدة كما اعتدت أن أشعر . . فكتبت إليك بكل شيء .

مدام ليموان : لا داعي للاعتذار .

كلود : لقد عاملتها كما أعامل طفلة .

مدام ليموان : ثم أخيراً يا كلود . . منذ ذلك الوقت . .

كلود : هذه النظرة التي بدت بها عندما هممت بالخروج ، أوه ! . لقد عرفتها جيداً . . أمي . إن كل ما ربحته بعد مشقة كبيرة ، لعله قد فلت من يدي .

مدام ليموان : بسبب غلطتي أنا .

كلود : كلا . . إنني وحدي المذنب . . وسأطلب منها الصفح فوراً .

مدام ليموان : إنك تذل نفسك إلى هذا الحد أمام تلك التي . . . أما أنا . . . فاعلم تماماً أنني لا أستطيع الصفح عنها .

كلود : الصفح يا أماه . . لا معنى له إلا بيني وبينها . .

مدام ليموان : إنها ليست جديرة بشخص مثلك .

كلود : عندما أفكر فى كل ما حمله إلىّ هذا الصفح . . هذا السلام الداخلى . . هذا الشعور بالقوة التى تريد وتعمل معك . . لا بدلا منك . . منذ ذلك اليوم أضاءت الدنيا أمام ناظرى . . أما قبل ذلك فقد كنت أتخبط فى الظلام . . إنها المحنة يا أماه . . وقبل هذه الأشهر الرهيبة كانت هذه الكلمة جوفاء عاطلة من المعنى . . ولكن عندما يعانى المرء ما عانيته أنا . .

مدام ليموان : ولكنها لم تشعر بشىء من هذا .

كلود : إن أفضل ما فى هذه المحنة . . هو أنها لم تفهم شيئاً . . فقد كنت وحدى تماماً . . أمام الله . وشيئاً فشيئاً عندما أحست أنها استردت الثقة بنفسها . . ما أعجب الطريقة التى كانت تنظر بها إلىّ حين تعتقد أننى لا أنتبه إلى شىء . !

ويالذلك النداء الأبكم فى عينيها ! لقد
كنت كأنما أساعد شيئاً على الحياة . .
شيئاً هشاً . . . شيئاً كل ما فيه يضعف
الأمل فى بقائه . . وفى الأيام الأولى
عند عودتى فى المساء ، كنت أنتظر
دائماً أن أفاجأ بأنها قد رحلت لتلحق به .
وأنا على يقين من أنها قد فكرت زمناً
طويلا فى أن تفعل ذلك . . وهى
تعتقد أنها كانت . . . تفكر فى
ذلك . . ولكن الواقع أن قوة ما كانت
تفصـــل بينها وبينه . . وذات يوم
أحسست فجأة وعن يقين أن كل شىء
قد انتهى . . وأنها لم تعد تفكر فى
ذلك . . وأننا قد كسبنا المعركة ؛ .
لا داعى للبكاء . . يا أماه . . فما كان
ينبغى أن أثير كل هذه الذكريات . .

مدام ليموان : إنها ستؤذيك من جديد . يا بنى ..

كلود : كان ذلك ممكناً فيما مضى . حينما لم نكن

قد تعذبنا . . أما الآن فإننا لم نعد نستطيع . فقد حمل كل منا صليب الآخر . . وكلانا قد نزفت دماؤه من أجل الآخر . . . فنحن . . . كأنما ازددنا ثراء . . وأصبحنا أفضل . . نعم . . أفضل ؟ . .

مدام ليموان : آه . . إنك تعبر عن هذا كله تعبيراً رائعاً . . [تعنف عليها] .

كلود : الجرس يدق دقتين . . لا بد أنه فرانسيس . . أرجو المعذرة . . فقد خرجت الخادمة . ولا بد من أن أفتح الباب بنفسي [يخرج] .

مدام ليموان : [تناجي نفسها وحدها] إنه طيب . . وكريم جداً . .

[تهز رأسها هزة تعبر عن الأسى] .

المنظر العاشر

الأشخاص أنفسهم — فرانسيس

كلود : كان يجب عليك يا عزيزى أن تتناول معنا طعام العداء .

فرانسيس : كان على أن أعود مريضاً فى « چوى أن جوزا » ولم أعد إلا فى الساعة الثانية بعد الظهر .

مدام ليموان : ومتى تناولت غداءك ؟

فرانسيس : منذ نصف ساعة فى « مشرب أتوماتيك » . [موجهاً الحديث إلى كلود] أيسير كل شىء على ما يرام ؟ لقد رأيت لتوى أحد أعضاء مجمع الأساقفة . وقد حدثنى عنك . . يخيل إلى أنهم يخلونك مكاناً رفيعاً من تقديرهم . ويبدو أنك قد سحرت الأبرشية كلها . وأن أعضاء كنيستك أصبحوا لا يقسمون إلا بك .

مدام ليموان : لماذا لا تأتى للاستماع إليه ؟

فرانسيس : ماذا تريدين ؟ إن هـــذا لا يدخل فى إختصاصى . [مخاطباً كلود] ألم تخطرك أمى بأن لدىَّ ما أقوله لك ؟

كلود : بلى . . ولكننى لا أدرى شيئاً مطلقاً عن الموضوع .

فرانسيس : اسمعى يا أماه ! فى وسعك ، بطبيعة الحال ، أن تظلى معنا ، كما قلت لك . . ولكنك تعلمين أننى مرغم على أن أعالج مع كلود حديثاً شائكاً إلى حد ما ، ولا أريد أن أقلق بالك بلا جدوى . .

مدام ليموان : إذا لم يكن فى وجودى ما يزعجكما ، . . فإننى أفضل . .

فرانسيس : الأمر يتعلق . . بميشيل ساندييه .

كلود : أه ! [تصدر حركة عن مدام ليموان]

فرانسيس : لقد حضر ميشيل ساندييه لاستشارتى منذ عهد قريب .

مدام ليموان : هذا غريب ! .

فرانسيس : ليس فى هذا ما يدعو إلى الغرابة . فهو يعلم عن طريق المجلات الطبية ، التى يبدو أنه يثابر على قراءتها ، أن أبحاثى تتعلق — على وجه الخصوص — بداء خطير ، هو مصاب به حالياً .

كلود : إذن ، فالأمر يتعلق بداء . . .

فرانسيس : [بصوت خافت] نعم . . داء لا علاج له فى الظروف الحاضرة [بصوت مرتفع] ولكن . . . هناك سبب آخر دفعه إلى زيارتى . . أنا بالذات . .

مدام ليموان : أه !

فرانسيس : أجل . . إنك ترين جيداً أن كلود هادئ الأعصاب .

مدام ليموان : إن هدوء أعصابه يتجاوز كل حد . . . أما أنا فيكفينى أن أسمع اسم هذا التعس لكى . . .

فرانسيس : لم يبق أمام ميشيل ساندييه فى الحياة غير وقت قصير . . وهو يعلم أنه ضائع . . وينبغى أن أقول إنه يواجه موقفه فى صفاء وهدوء ، أثارا بالغ دهشتى . .

مدام ليموان : من المحتمل أن يكون ذلك نوعاً من التصنع .

كلود : أماه !

فرانسيس : لقد عاش منذ أعوام حياة لم أطلب منه أن يتمادى فيها ، ولكنها — بطبيعة الحال — غير منقطوعة الصلة بالحالة التى هو عليها الآن .

كلود : وبعد ؟

فرانسيس : ويبدو أنه قد انساق إلى تأمل حياته . . . إلى استرجاع بعض ذكريات ماضيه ؟ أو لعله على كل حال . .

كلود : إن الأمر يتعلق بأسموند ؟

فرانسيس : نعم .

مدام ليموان : أخيراً . . ألا تريد أن تقول . . ؟

فرانسيس : لقد بدأ فى حديثه معى بغاية الحذر . . ولكننى كنت أدرك أنه سينتهى إلى ما انتهى إليه . . فقد قال لى ، عرضاً ، إنه قد تعرف عليك منذ زمن بعيد ، وإن الفرصة سنحت له للاستماع إليك . . فى كنيسة من الكنائس . . . لست أدرى ايها : . :

كلود : أتراه استفسر عن إدميه ؟

فرانسيس : لقد سألنى فى بساطة عما إذا كانت زوج أخى هى الأخرى ، على ما يرام . وكان من الصعب عليه أن يمضى إلى أبعد من ذلك . أولا : لأنه لم يكن لديه من الأسباب ما يحمله على الاعتقاد بأنى أعرف الماضى بأية صورة من الصور . . فكنت أرى هذا البائس يناضل مع الأسئلة التى تضطرب فى صدره ولا تجد

مخرجاً . . . وينبغى ألا يوجه إلىّ اللوم
إذا كنت قد نصبت له الشرك .

مدام ليموان : ولكن ما هذا يا فرانسيس ! . .

فرانسيس : قلت له فى بساطة : ولكن هـذا صحيح . . إذ يبدو لى أنى التقيت بك ذات مرة فى « سان لودى تالفاس » — عندما كان أخى قسيساً هناك — ولم أزد على ذلك شيئاً ، ولا شك أنه من أعجب الأشياء تلك القوة الكامنة فى اسم من الأسماء . . فقد شحب لونه ، واستولى عليه الوجوم وغض من بصره هكذا . ثم قال : نعم . . كان لى منزل فى « سان لو » . وتظاهرت أنا بأنى تذكرت فجأة وقلت : هذا هو . . أجل . . هذا صحيح . . لقد تذكرت الآن ذلك المنزل الكبير الذى يشرف على القرية أما زلت تملكه ؟ فأجاب : كلا . . لقد بعته قلت : كان ذا موقع

جميل وعاد إلى الصمت مرة أخرى . .
وكنا واقفين . . وبالطبع كان الكشف
قد انتهى . . فخطوت خطوة صوب
الباب ، ولكنه لم يتحرك . فسألته :
ألديك شيء آخر تطلبه منى ؟
فقال : « أجل » وكأنه يهمس . . وتناول
يدى ، ونظر إلى عينى فى قلق وكأنه
يريد أن يستشف ما أعـــلم . . فلم
أختلج . . ثم قال : أصحيح أنك
لا تدرى شيئاً عما أريده منك ؟
فماذا كان ينبغى أن أجيبه ؟ آه لو علمتما
إلى أى حد لم أكن أريد أن أستمر
وقتاً طويلا فى مزاولة لعبة الاستخفاء
مع هذا المحتضر . . .

هدام ليموان : إنى واثقة من أنه ليس مريضاً بتلك
الصورة التى تريد أن توحى بها .

فرانسيس : إنه لن يعيش أكثر من بضعة أشهر ..
وهو يعلم ذلك .

كلود : ثم ؟

فرانسيس : حسن . لقد أخبرته بألا حاجة له فى أن ينبئنى بشىء . . أوه . . إن كلود سيفعل مايبدو له صواباً . . إنه حر تماماً . . وأعتقد أننى لم أكن أستطيع أن أتصرف على خلاف مافعلت . .

كلود : [مخاطباً فرانسيس] : لقد كنت على صواب . .

مدام ليموان : كان من المفروض أنك لا تعلم شيئاً . . هذه خيانة ضدى .

كلود : يا له من نفاق !

فرانسيس : أختم كلامى قائلا : إنه يطلب رؤية ابنته قبل موته .

مدام ليموان : وأى حق لديه قبل هذه الفتاة ؟

فرانسيس : هذه مسألة أخرى .

مدام ليموان : بل هذه هى المسألة . . وفضلا عن ذلك ليس لك حق فى أن تأخذ هذه الرسالة على عاتقك .

كلود : أمى . . إنك كثيراً ما ترددين . .
« إن لنا الحق . . . وليس لنا
الحق . . » .

مدام ليموان : [مخاطبة فرنسيس] إنك تعرف أخاك ،
وتعرف أنه طيب جداً ، وكريم جداً . .
وكنت أقول له ذلك منذ لحظة .

فرانسيس : إنك فى هذه اللحظة تحكمين مقدماً
على قراره . .

مدام ليموان : أوه . . إننى أعرف ابنى كلود .

فرانسيس : ينبغى ألا نؤثر عليه . .

مدام ليموان : وان يمنعنى أحد من إبداء رأيى .

فرانسيس : هذا أمر لا معنى له .

مدام ليموان : رأيى القاطع . . .

فرانسيس : إن أحداً لا يستطيع أن يضع نفسه فى
مكانه . .

مدام ليموان : أمه تستطيع ذلك . أيريد أن يرى ابنته ؟
لا أظن أنه يزعم لنفسه الحق فى أن
نكشف لصغيرتنا العزيزة . . . ..

كلود : إنه يستطيع أن يرى أسموند هنا باعتباره شخصاً عادياً جاء لزيارتنا .

مدام ليموان : ليس لك أن تسمح لهذا الشخص بالدخول فى هذا المكان . . هذه فضيحة . . هذا عمل غير أخلاقى . وأخيرا ، يا فرانسيس .

فرانسيس : أنا لم أقل شيئاً .

كلود : لقد عفوت يا أمى .

مدام ليموان : لعلك عفوت عنها . .

كلود : أجل . . عنها . . بكل تأكيد .

مدام ليموان : ولكنك لم تعف عنه .

كلود : هذا معناه أن الحياة لم ترغمنى بعد على أن أطلب له هذا الصفح من نفسى .

مدام ليموان : لو لم تسنح له الفرصة لأن يكون مريضاً . . .

فرانسيس : لك الله يا أماه !

مدام ليموان : وهل تعتقد أنه سيقنع فى تلك الزيارة

برؤية أسموند ؟! يعلم الله أى ادعاء سيدعيه عقب ذلك .

كلود : إنها محنة تعرض لى : ويجب على أن أحياها يوماً إثر يوم .

فرانسيس : إلى هنا ولن أتبعك . . يا عزيزى . فمهما يكن من شىء ، لا يصح للمرء أن يستسلم للدوامة . . . بل يجب أن تحتفظ بحريتك فى التصرف كاملة . . .

كلود : أنصت إلى . . إننى لا أحتمل الاستمرار فى مناقشة هذا الموضوع دون علم « إدميه » .

فرانسيس : ومع ذلك فمن الطيش أشد الطيش أن تطلعها على جلية الأمر . . أه . . فكر قليلا . . يا صغيرى . . إنك تجازف بأن تقلب كيانها بصورة خطيرة . إنها حالة أعتقد أنك تستطيع وحدك أن تتخذ فيها قرارك .

كلود : لست من هذا الرأى .

فرانسيس : افهمنى جيداً . . إننى لا أخشى لحظة من أن وجودها فى حضرة هذا البائس قد يشعرها بميل مما لا أدرى . .

كلود : فرانسيس !

فرانسيس : ولكن . . بشىء من الاشمئزاز . . ونوع من الرعب . . ثم فكر فى الأصداء الممكنة لمثل هذه الصدمة على جسم رقيق . . أرجو معذرتك . يا عزيزى . ولكنك تعلم تماماً أن طبيعة زوجتك ليست من الطبائع التى يمكن أن نسميها متزنة . . . وأنت تريد . بطيبة قلبك أن تعرضها لمثل هذه المجازفة ؟ فالمسألة لا تنحصر فقط فى أن تراه ثانية . . بل فى مجرد أن نعيد على مسامعها ما قلته لك . . . وأنا أجد ذلك . . .

كلود : [متنهداً] إن أسموند ابنتهما . . ثم . .

كلا . . إننى لا أسمح لنفسى بأن أتحمل عنها هذه المسئولية .

فرانسيس : بل اسمح . . . بل اسمح . . . وسيأتى ميشيل متعللا بأية علة ليراك يوماً تكون زوجتك قد خرجت فيه . .

مدام ليموان : سأنصرف . .

فرانسيس : أماه . . ما هذا ! . . وتكون أسموند فى المنزل ذلك اليوم .

كلود : وهل يتحتم على أسموند أن تخفى هذه الزيارة عن أمها ؟

فرانسيس : هنا . . . إشكال بسيط ، أوافقك على ذلك . . ولا بد من البحث عن مخرج : .

كلود : لن أبحث عن هذا المخرج .

فرانسيس : نعم . . حسن . . إننى لن . .

كلود : بدلا من الكذب على إدميه مرة أخرى . . أرانى أوثر الرفض القاطع . .

فرانسيس : فى هذه الحالة .. من الأفضل أن ترفض .. فالواقع أن هذا البائس المسكين . .

كلود : إن الأمر يتعلق بعلاقتنا كلها التى أصبحت فى الميزان . . فإذا نجحت فى أن أخلق بيننا جواً من الثقة ، من الألفة . . . فأنتم . . .

فرانسيس : إنك تخاطر بأن تضع هذا كله موضع الشك مرة أخرى .

كلود : وكيف ذلك ؟

فرانسيس : لست أدرى شيئاً . . ولكننى أشعر بذلك .

مدام ليموان : وأخيراً . . أهو قد اهتم بأسموند طوال تلك السنين ؟

فرانسيس : ماذا تريدين ؟ لقد كان عنده ما يعوضه عن ذلك . . . أما الآن فالمسألة أقل غرابة . . ثم يجب أن ننظر إلى هذا كله على أنه فكرة متسلطة على مريض . .

كلود : [مخاطباً فرانسيس] لقد جرحتنى منذ

لحظة عندما تحدثت عن إدميه بهذا الأسلوب . ويبدو لى مع ذلك أنها قد أثبتت قيمتها . . انظر إلى حياتها . . أمن الممكن للمرء أن يؤدى واجباته على وجه أكمل مما تفعل هى ؟ . . أم من الممكن أن يحيا الإنسان حياة أملأ أو أنفع من حياتها ؟ ؟

فرانسيس : وربما كان هذا بالذات هو ما يخيفنى .

كلود : كيف ؟

فرانسيس : إنها هذه الحياة المثالية . . أجل . . هذه الصرامة وهذه الاستقامة هى التى تقلقنى . إن هذا كله . . ، على ما أتوهم ، ليس إلا نوعاً من النوم . . ويخيل إلى أحياناً أن زوجتك تنام حياتها [لا ينتبهان إلى أن إدميه قد دخلت ، ثم يكتشفان بغتة أنها موجودة] هيه . . طاب يومك يا إدميه [صمت]

المنظر الحادى عشر

الأشخاص أنفسهم — إدميه

مدام ليموان : [فى تسرع مصطنع] ماذا عن انحاد الفتيات؟ أراك قد عدت فى ساعة مبكرة يا إدميه . .

إدميه : لم يكن أحد فى حاجة إلى . . .

مدام ليموان : من المؤسف أن تكونى قد ضيعت وقتك عبثاً . . . ولكن من حسن الحظ أن أوتوبيس رقم ٢٨ مريح جداً [صمت] أتمطر السماء فى هذه اللحظة ؟

إدميه : لست أدرى . . ربما سقطت بضع قطرات ولكنى لم أنتبه لذلك . . كان يبدو عليكم الانشغال حين دخلت .

مدام ليموان : ولكن هذا معناه . . .

كلود : سأقص عليك .

مدام ليموان : أجل .. أجل .. سيقص عليك .

إدميه : [لفرانسيس] ربما أرسلت إليك يوم ما فتاة صغيرة تبدو عليها أعراض مرض السل .

فرانسيس : [ضاحكاً] أنا فى خدمتك ... ألا تأتين يا أماه ؟

إدميه : أتغادرنا بهذه السرعة ؟

مدام ليموان : متى سنلتقى ؟

فرانسيس : تعالوا للعشاء عندى يوماً ما ..

مدام ليموان : ولكن ألا تخشى أن تكون أوجينى .. ؟ إنها لا تبدو الآن على ما يرام ... وحضور ثلاثة من الضيوف .

[يتلاشى الصوت .. يراقبهما كلود وإدميه ثم لا يلبثان أن يعودا] .

المنظر الثانى عشر

كلود — إدميه

كلود : يسرنى أنك عدت مبكرة . .

إدميه : اصغ إلىّ لحظة ياكلود .

كلود : [شاخصاً إليها] — أجل . . إننى أعلم .

إدميه : فيما يخص والدتك ؟

كلود : نعم . . .

إدميه : لقد حيرنى ذلك كثيراً . . كلا . .
دعنى أفرغ من كلامى ، يا حبيبى .
[تتناول راحتيه] ثم إنى قد فكرت
جيداً . . . لقد كنت مخطئة فى ذلك الحين
حين طلبت منك هـذا الوعد . .
فقد كان مجرد التفكير فى أن يعرف أحد
شيئاً يبدو لى مخيفاً بصورة مزعجة .

كلود : أجل . . أجل .

إدميه : وخاصة . . أمك . إنها تقسو فى حكمها

عليك ، برغم ما يبدو عليها من مظهر التسامح .

كلود : إدميه !

إدميه : لا يهم . . ولا داعى لأن نطرق هذا الموضوع مرة أخرى . . هذا كل ما فى الأمر . .

كلود : حبيبتى . . هذا كرم عظيم من جانبك . . وأخشى أن تكونى . .

إدميه : لا تتحدث عن الكرم . . أليس كذلك . . ؟ من الواضح أنك لا تدين لى بشىء . . ومن الجنون أن أعتقد عكس ذلك .

كلود : إننى عندما أخذت على نفسى ذلك العهد . . أؤكد لك . .

إدميه : أجل . . فى تلك اللحظة . . ولكن لا داعى للجدال . . وأكرر لك أننى أفهم موقفك ، أو على أية حال . .

كلود : أتصفحين عنى ؟

إدميه : لا تسخر منى يا كلود .

كلود : لقد كنت أقول لأمى منذ لحظة . .

إدميه : أكنتم تتحدثون عن ذلك أنتم الثلاثة حينما دخلت ؟ حيا . إننى أفضل ألا تجيب علىّ . . إذن لقد كان أخوك يعلم هو الآخر . بطبيعة الحال . [صمت . . تتقلص أصابعها] .

كلود : عندما تلومينى على أننى قد أسأت استغلال هذا النوع من التعالى المزعوم .

إدميه : أنا لا ألومك على شىء . . إن جوهر أى موقف من المواقف يبقى على ما هو عليه [تضغط على الكلمة] لقد « صفحت » عنى رغم كل شىء . .

كلود : يا حبيبتى . إنك تعلمين معنى هذه الكلمة فى نظرى . . وقد شرحت لك . . .

إدميه : نعم . . لقد شرحت لى أشياء كثيرة . .

كلود : يا لتأنيب الضمير الذى تشعرينى به ! فبغير هذه الكذبة . .

إدميه : هناك سؤال واحد أريد أن أوجهه إليك .. إن أمك قد أشارت أمامى منذ لحظة إلى أزمة ضمير اجتزتها فى فترة معينة .. ولا أريد أن أعلم ذلك لأعاتبك على أنك لم تضع ثقتك فى . . وإنما أريد أن أعرف التاريخ فحسب .

كلود : كيف ؟

إدميه : فى أية فترة عانيت تلك الأزمة ؟

كلود : هذا شىء لا يمكن تأريخه كما نؤرخ مرضاً جسمياً .

إدميه : لماذا يبدو عليك الارتباك ؟

كلود : كلا على الإطلاق . . لا بد أن يكون ذلك فى سنة ١٩٢٧ .

إدميه : أى فى فترة لم يكن قد راودك فيها أى شك بعد ؟

كلود : نعم .

إدميه : وتبددت هواجسك عقب ذلك مباشرة ؟

كلود : ولكن . . تفهمين جيداً أن ذلك لم يكن أمر يوم أو شهر . . . لقد كان أشبه بتحول بطىء لذاتى . . بنوع من التفتح .

إدميه : ألم ينفعك وجودى بشىء ؟

كلود : كيف ؟

إدميه : أنا . . وما فعلته ضدك ؟ . . خيانتى لك ؟ هل هى مجرد مصادفة أن تكون بعد أن اكتشفت الحقيقة . قد استعدت إيمانك بالله ؟

كلود : يستحيل على أن أجيبك . . مجرد مصادفة . . كلا . . إنها ليست مصادفة بكل تأكيد . .

إدميه : هذا كل ما أردت أن أعرفه .

كلود : إننى لا أعتقد بوجود المصادفة فى هذا المجال . [إدميه لا تجيب ، وتذهب للسحث

عن شغل للإجازة وتنهمك فى العمل فيه] . .
كم كنت أود لو كان فى مقدورى أن
أشرح ما كان يدور فى نفسى حينذاك .

إدميه : ربما كان ذلك أمراً عسيراً جداً . .

كلود : فى الأيام الأولى من زواجنا . .

إدميه : [ترفع رأسها وتنظر نحوه] — تريد أن
تعود إلى هذا الموضوع ؟

كلود : كنت أشعر كأننى لن أصل إليك مطلقاً .
وكنت أحس دائماً أننى على الهامش . .
إنك لا تصغين إلى .

إدميه : ولكننى . . . أصغى إليك . . نعم . .

كلود : كان انعدام هذا الاتصال بيننا قاسياً
أشد القسوة . . وكان يبدو لى أنه تنقصنى
الموهبة الجوهرية . وتذكرين إلى
جانب هذا خيبة آمالى فى « سان لو »
مع طلابى . وقصة الصغيرة .
« جنفرييه Génévrier » .

إدميه : [منحنية دائماً على عملها] — إننى لا ألمح الصلة بين هذا وذاك . .

كلود : ولكن الأشياء جميعاً مترابطة . هـذه الشكوك التى تتحدثين عنها . كانت فى قرارة أمرها منصبة على مواهبى ، على استعدادى إذا شئت .

إدميه . : نعم . . وكنت أنا أحد أسباب فشلك .

كلود : تعلمين إلى أى حد أنا قليل الثقة بنفسى . .

إدميه : كلا . . لا أعلم . . .

كلود : وهكذا حينما لايؤمن المرء بنفسه تبدو له الأرض وكأنها تميد تحت أقدامه . . فلا يبقى شىء . . طبعاً ، لم أكن أشعر بذلك طول الوقت . . وإنما كان ذلك أشبه بنوبات من القنوط يزداد ترددها علىّ بالتدريج ، وكانت كل نوبة منها تتركنى متهالكا . . ضعيفاً ، خائفاً من ضعفى . . أتفهمين ذلك ؟

إدميه : فهماً غامضاً .

كلود : وعندئذ حدثت تلك . . [يشير بيديه] .

إدميه : . . تلك المحنة .

كلود : وفى هذه المرة كان الفراغ المطلق حقاً . .
كنت وحدى تماماً . . فقدت زوجتى
وطفلى فى وقت واحد . . وخيل إلى
أننى لن أستطيع المقاومة . . هذا حق . .
وأنت تعلمين ذلك . . ثم أخذ النور
يظهر رويداً رويداً . .

إدميه : بطبيعة الحال !

كلود : ماذا ؟

إدميه : كل ما أذكره إنه ليست هناك طريقتان
للحديث عن هذه الأمور :

كلود : إن ما حدث عندئذ كان له معنى . .
كان أشبه بنداء نفذ إلى أعماق نفسى . .
وكان ينبغى علىّ أن أفهمه .

إدميه : لقد كان الله هو الذى يكلمك .

كلود : لقد وُضعت لأول مرة وجها لوجه

أمام نفسى . . وكنت على وشك أن
أكتشف بمن يتعلق أمرى . . وربما
كان ذلك الشعور بضعفى اللانهائى هو
الذى أنقذنى .

إدميه : الموضوع كله . . هو أنك كنت أنت
وحدك المهم . . هذا مفهوم . .

كلود : لقد صليت بحماس لم أعرفه من قبل . .

إدميه : من أجل من كنت تصلى ؟

كلود : من أجلنا نحن الاثنين . . لكى يمنحنى
الله القوة على أن أكون منقذاً ؛ .
وشيئاً فشيئاً أحسست كأن عذابى يتحول
إلى قوة حية فعالة . .

إدميه : نعم . . بالاختصار . .

كلود : ماذا ؟

إدميه : لا شىء . . إننى أرى هذا كله رائعاً .
[صمت] . .

المنظر الثالث عشر

الأشخاص أنفسهم – أسموند

كلود : هل قمت بنزهة طيبة ؟

إدميه : من الذى فتح لك الباب ؟

أسموند : لقد عادت فيليسى . . والسماء تمطر . . وكانت الفتاتان متعبتين . . واكتفينا بهذه النزهة .

إدميه : وماذا ستفعلين الآن ؟

أسموند : جئت أبحث عن كتاب لأطالع لها فيه قليلا .

إدميه : لا تنسى موعد مدموازيل « چانتى » فى الساعة الخامسة ، يا أسموند .

أسموند : [بعصبية] ماذا هناك يا أماه ؟

إدميه : ألا تعتقدين أنه من الممكن الإيحاء إلى هذا السيد باستخدام مربية ؟

أسموند : وأخيراً ، يا أمى . . . :

إدميه : إنك تظهرين فى هذه الناحية تساهلا ليس من طبعك . .

أسموند : أبى . . إننى أرتضيك حكماً . .

إدميه : هاتان الطفلتان لا تتميزان بأى ميزة ، وقد قلت ذلك أنت نفسك . .

أسموند : إنهما لطيفتان جداً .

إدميه : لقد قررت أن أكتب إلى السيد « ميجال » بأن مشاغلك لا تسمح لك بتكريس وقتك لطفلتيه . .

أسموند : سيكون ذلك كذباً .

إدميه : بل سيكون الصدق عينه .

أسموند : أبى . . أريد أن تسمعنى هذا المساء خمس دقائق . . خمس دقائق فحسب . . أليس كذلك ؟ [تخرج] .

المنظر الرابع عشر

كلود — إدميه

كلود : لست فى حالتى الطبيعية على الإطلاق .

إدميه : ومع ذلك ينبغى أن يرى المرء فى وضوح
[صمت] . .

كلود : [فى صوت متردد] عندى شىء آخر
أريد أن أقوله لك . . يتعلق بما جاء
فرانسيس لكن ينبئنى به منذ لحظة .

إدميه : حسن ؟

كلود : [وكأنما يخاطب نفسه] يا إلهى ! ربما كان
هو على حق . . ولكننى لا أستطيع .

إدميه : إنه أمر خطير إذن ؟

كلود : إنه أمر يبعث على القلق .

إدميه : [تقترب منه فى حنان] ما هو ؟

كلود : أه . إننى فى حاجة إلى حنانك .

إدميه : [فى مرارة] . . لو كنت على ثقة من
ذلك . .

كلود : حسن . . لقد ذهب لاستشارة
فرانسيس . . إنه مريض جداً .

إدميه : عمن تتحدث ؟ [يتفرس كلود فى وجهها]
أه . .

كلود : ويقول فرانسيس إن حالته خطرة إلى أبعد حد ، حتى لا يكاد المرء يتعرف عليه - وهو يطلب رؤية الفتاة : - مرة واحدة .

إدميه : يجب الرفض .

كلود : لست أدرى :

إدميه : [فى إصرار] يجب أن ترفض .

كلود : ولماذا لا بد من الرفض ؟

إدميه : لا أستطيع أن أشرح لك ، ولكننى واثقة مما أقول .. الحقيقة أن ذلك ممكناً . وأنت تشعر بذلك جيداً .

كلود : أصغ إلى يا حبيبتى . . ليس من حق أن أخفى عنك الحقيقة . إن فرانسيس يقول إن أيامه معدودة . . افهمينى جيداً . ربما كنت على صواب لست أدرى . . ولكن . . هل أنت متأكدة . . من أن ذلك لا يكون نوعا من الجبن ؟ [إدميه ترتجف] إنك لن تريه . سيأتى

فى زيارة ذات يوم تكونين قد خرجت
فيه من المنزل .

إدميه : لقد رتبت كل شيء فى رأسك . .
ولكن . . ولكن هذا مخيف : . من
تكون إذن ؟ إنك لست إنساناً .

كلود : إنه شخص يحتضر .

إدميه : إذن ، لقد امّحى الماضى بالنسبة لك
وأصبح كأن لم يكن . . أما أنه كان
يحتضن بين ذراعيه . . ويضمتى إلى
صدره . .

كلود : اسكتى :

إدميه : أوه . . إنك تستطيع أن تستمع إلى كل
شيء . . ليس البرود هو الذى ينقصك
حينما يتعلق الأمر بى . :

كلود : ولكن هذا فظيع يا إدميه . . هذا الذى
تقولينه : .

إدميه : إن عظمة النفس الرخيصة هذه . . تفزعنى . .

كلود : الرخيصة ! ولكننى عندما غفرت لك . .

إدميه : إن لم تكن قد غفرت لى لأنك تحبنى ، فماذا تريدنى أن أفعل بهذا العمران ؟ [تجهش بالبكاء] . .

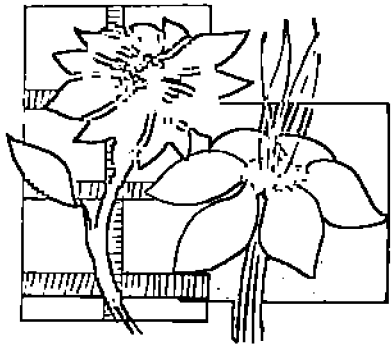

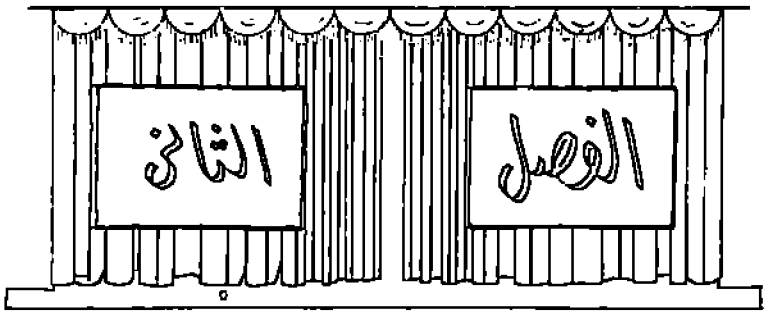

[مساء ذلك اليوم نفسه . حجرة مكتب كلود . . وهى حجرة مستطيلة ضيقة ذات رفوف عالية للكتب مليئة بالمجلدات الضخمة . . فى الوسط مائدة مغطاة بالأوراق . . وقد وضع عليها « مصباح بترول » . الساعة الثامنة . كلود جالس يقرأ . . دقات على الباب] . . .

المنظر الأول

كلود — أسموند

كلود : من هناك ؟

أسموند : [وراء الكواليس] — إنه أنا . . يا أبى .

كلود : ادخلى . . يا صغيرتى [أسموند تدخل من

الجهة اليسرى للمسرح] حسن . ما هذا ؟ ماذا هناك ؟ ألا تعتقدين أولا أنه مما قد يجرح أملك أن تطلبي الحديث معى على انفراد ؟ [حركة من أسموند] لو أننى طلبت إليها الحضور أيضاً ، فماذا تقولين ؟

أسموند : فى هذه الحالة سأنسحب أنا .

كلود : أسموند !

أسموند : لقد جئت إليك بخصوص أمى بالذات .. أمى وأنا . . وحينئذ ، فلعلك قد فهمت ، يا أبى . إننى لست سعيدة .

كلود : عزيزتى !

أسموند : أوه . . إننى لست سعيدة على الإطلاق . لقد قلت ذات يوم فى إحدى الصلوات ، إن السعادة تكمن فى أعماق نفوسنا . .

كلود : أنت تعلمين جيداً أن هذا حق .

أسموند : أما بالنسبة إلى أنا ، فليس ذلك حقاً

على كل حال . . يبدو أن نفسى
لا تنطوى إلا على كل ما يجعلنى أتعذب .
وإذا كان فيها شيء آخر . فلا بد أن
يكون مختفياً إلى درجة . . أوه ! .
إن أمى تعلم جيداً أننى لست سعيدة .
وأعتقد أنها لا تحبنى .

كلود : ولكن ما هذا الذى تقولين . . ؟ أهناك سبب خاص ؟

أسموند : بل الأحرى أن الأسباب كلها تعمل على ذلك . أرجو عفوك . . فأنا أؤلمك فى هذه اللحظة .

كلود : عزيزتى . . يجب أن تصارحينى بكل شيء . . ولماذا لم تتحدثى إلىّ منذ زمن بعيد ؟ ألا تعتقدين أن ذلك أمر فظيع بالنسبة لى ؟

أسموند : أرجو المعذرة .

: ثم إنه يجب على أن أرى بوضوح ما يدور فى أعماق نفسك . . فإذا كان المرء

لا يستطيع أن ينفذ إلى أقرب القلوب إليه . .

أسموند : لا بد أن يكون ذلك راجعاً بالذات إلى أنى قريبة أكثر من اللازم . إنك تسألنى لماذا لم أتحدث إليك من قبل .. ومن الصعب على أن أجيبك . .

كلود : [فى مرارة] من المحتمل أنك لا تثقين بى .

أسموند : أوه ! يا أبى إننى لا أثق فى أحد سواك .

كلود : وأملك يا أسموند ؟

أسموند : إن أى إنسانة لا تساعدك إطلاقاً . . ثم إنها تصدر أحكامها على كل ما نقول ، وعلى كل ما نفعل بصورة من شأنها أن تشل حركتى . ولكن إلى درجة . . وأنت مشغول جداً . . ولديك هموم كثيرة . هذه آلام تريد أن ترفعها عن كاهل الناس . . وتبدو دائماً كما لو كان أحد قد اغتصبك من غيره .

تم من الواضح أنه إلى جانب كل هذا الذى تراه . .

كلود : لقد قلت لى أن جميع الأسباب تتضافر على جعلك غير سعيدة . .

أسموند : أريد أن أقول إننى عندما أنظر أمامى لا أرى شيئاً . . إن الحياة لا تجتذبنى .

كلود : كيف ؟

أسموند : نعم . . إن الحياة بالنسبة إليك عبارة عن هبة من الله . أليس كذلك ؟ إنها شيء عظيم ، رائع . . الحياة ! إنك عندما تنطق هـذه الكلمة ، يتهدج صوتك . . أما أنا فإنها على العكس من ذلك تبدو لى شيئاً يبعث على السخرية . شيئاً تافهاً . إن حياتى . .

كلود : ومع ذلك . فأمامك . . [يبدى حركة] .

أسموند : الزواج . . . الأطفال . . أهذا ما تريد أن تقوله ؟

كلود : أجل . [صمت] .

أسموند : انظر حولنا . هنريت بلانجيه ، چان شيلد . . لقد تزوجتا . وأنجبت كلتاهما أطفالا . . إنني لا أجد في مثل هذه الحياة ما يبعث على الغبطة . . بل ليس فيها شيء شائق على الإطلاق . .

كلود : ألا تظنين أن هذا الحكم سطحي إلى حد بعيد ؟

أسموند : إن كلتاهما تعيش وجوداً شاقاً . . ضيق الأفق .

كلود : إذن . . فهذا كل ما في الأمر ؟

أسموند : [عصبية] ولكن دعني أشرح لك . . فلنفرض أنهما سعيدتان . . فهذا معناه أن لكل منهما زوجاً لا يخونها . .

كلود : عزيزتي !

أسموند : وأطفال يكبرون دون صعوبة كبيرة . اللهم إلا مرضان أو ثلاثة أمراض تنتابهم في المتوسط كل عام . كلا . . ، هذا لا يعني شيئاً بالنسبة لي . . إنني لا أرى

إلى أين تنتهى أمثال هذا الوجود . .
وإذا فصّلت حياتى على هذا النموذج
نفسه . .

كلود : ولكن . . لا وجود لنموذج . . فلكل
حياة من هذه الحيوات جمالها الخفى .

أسموند : الخفى ، نعم ، نستطيع أن تقول ذلك !

كلود : وأصالتها الجوهرية هى أنه ينبغى على
المرء أن يحياها لكى يقدرها . .

أسموند : شكراً ! فحياتى تكفينى . . وعلى أية
حال ، إذا كانت نسخا مما يُصنع منه
الآلاف . بل الملايين كالصحف ،
والمنشورات . . أجل ، إنها هكذا ،
مجرد منشورات . .

كلود : ألا يوجد شىء من الغرور الكامن وراء
هذا كله ؟

أسموند : إنك تعلم . . إنه بدون الغرور . . .

كلود : أن يتلاءم الإنسان مع قوانين الحياة ،

وأن يجعلها قوانينه الخاصة . وأن يريدها بدوره . .

أسموند : هذه مجرد كلمة . . فسواء أردنا أو لم نرد . .

كلود : إنها ليست كلمة يا عزيزتى ، إنها حقيقة كبرى . . أن نأخذ لكى نعطى .

أسموند : ماذا نأخذ ؟ وماذا نعطى ؟ ثم وعلى التحديد ، ما فائدة أن نأخذ لنعطى للآخرين ما يعطونه الآخرون بدورهم ؟ ما فائدة هذا كله ؟ هذا السباق المتصل فى عالم من الضباب ؟

كلود : [يجرد نحوه] : مهما يكن من شىء ، فإن هذا الاضطراب يدل على أنك فى قرارة نفسك . . .

أسموند : إنه إذا كانت المسألة تتعلق بشخص مثلى . فينبغى له أن يجد سنداً فى إيمان الآخرين . . . وقد اعتمدت على إيمانك حتى هذه اللحظة . . إيمانك أنت . .

ولكن حينما يشتد القلق بالإنسان ،
فإن مثل هذا الإيمان لا يكفى . وفى
هذه اللحظة . . .

كلود : إذن فأنت لديك ما يحزنك ؟

أسموند : إنه ليس حزنا .

كلود : قلق ؟

أسموند : بالأحرى .

كلود : [يخرج ساعته فى حركة آلية] . . ألا تريدين
أن تخبرينى ؟

أسموند : أنظرت فى ساعتك ؟

كلود : أنت تعلمين جيداً أننى مضطر إلى
الخروج بعد قليل .

أسموند : [فى حسرة] : إنك مرتبط بواجبات
كثيرة يا أبى . . وأن يشعر المرء أنه
مجرد رقم بين الفتاة الأم التى تقطن
شارع الوست والمرأة المشلولة التى تسكن
شارع « المينْ » . . إذا كنت تعتقد
أن هذا يجعل من اليسير تبادل الخواطر . .

ثم لعلك تتلقى من خواطر الناس جميعاً
أكثر مما ينبغى . . إنها مهنتك تقريباً . .
وهذا ما يجعل البرودة تتمشى فى
أوصالى بعض الشىء .

كلود : ولكنك تعلمين يا عزيزتى . أن الأمر
هنا يختلف كل الاختلاف .

أسموند : نعم . فأنا حالة تختلف عن سائر
الحالات .

كلود : إنك تتحدثين كأمك .

أسموند : أوه . . أترى ذلك ؟

كلود : نعم ، هذا إلى أنها لما كانت فى سنك . .

أسموند : حسن ، فليس هذا مما يسعدنى . .
ولكنى أعترف لك بأن فكرة الزواج
من شخص مثلك . . شخص له روح
مثل روحك . . هذه الفكرة تخيفنى . .
ولو أننى تزوجت شخصاً تافهاً . لكان
هذا أسوأ . إن الحياة مروعة .

كلود : ولكن هذا القلق ، يا عزيزتى . .

أسموند : إننى أعلم كل ما ستقوله لى . . فقد سبق أن ألقيت موعظة عن هذا الموضوع فى الشهر الماضى .

المنظر الثانى

الأشخاص أنفسهم — إدميه

إدميه : لقد دق الجرس يا أسموند . وأنت تعلمين أن فيليسى قد خرجت .

أسموند : فى هذه الساعة ؟ من يكون هذا ؟ [تخرج . صمت] .

إدميه : هل ستخرج هذا المساء ؟

كلود : نعم . . . ولكن الوقت لم يحن بعد . . إن فورتسماير لا يعود إلى منزله إلا فى الساعة العاشرة .

إدميه : إن فكرة استدعاءك فى مثل هذه الساعة . . .

كلود : إنه هو الآخر لا يعطى نفسه . . . أى راحة .

إدميه : وفضلا عن ذلك . . فإن ما تتدمه هذه المناقشة من قلة الجدوى . . .

كلود : أيا ما كان فإن فى هذا كله فكرة عظيمة .

إدميه : هذا الاندماج للكنائس . . إنها بالأحرى كلمات ضخمة . . مسألة اندماج الكنائس تلك . . على أية حال إنك فى قرارة نفسك لا تؤمن بذلك أكثر منى .

كلود : إننا ، إذاً لن نؤمن بذلك ، فلن يتم شىء .

أمموند : [عائدة] إنها أوجينى تحمل رسالة من عمى فرانسيس إليك يا أبى .

إدميه : خذ .

كلود : أينتظر رداً ؟

أمموند : إن أوجينى لا تعلم شيئاً عن ذلك ، وهى غاضبة لتكليفها بعمل ما يوم الأحد .

[كلود يفتح الخطاب ، وتقرأ إدميه من فوق

كتفه . . ثم تئن وتبدأ عنيفة] ماذا حدث يا أمي ؟

إدميه : هذا محال .

كلود : أسموند .. قولي لأوجيني إنه لا رد هناك ؟

[تخرج أسموند]

إدميه : إننا لا نستطيع أن نقدم على هذه المجازفة . . قل للبواب إنك خرجت أو إنني مريضة أو ما شئت . . ولكنه إذا أتى . . فلا يصح له أن يصعد إلى هنا . .

كلود : هذا محال ؟ أتريدين أن أكذب ؟

إدميه : إنك تكذب على زوجتك ، لا على البواب . . ثم ما دمت ستخرج حقاً . . كلود . . إنه شخص مريض .

كلود : تماماً . .

إدميه : ثم إنك ترى جيداً أنه قد رجع مرة أخرى إلى أخيك . . إنها فكرة متسلطة عليه . . إنه مجنون . . . إني أعترض على دخوله هنا .

كلود : يا عزيزتى . . شىء من الهدوء . .

إدميه : فوق كل هـــذا ! . . كلود . إننا نمشى على رؤوسنا . . فلو تأتّى لى أن أوافق أنا على استقبال هذا الرجل ، لكان من واجبك أن تعترض على ذلك

[إلى أسموند التى تعود فى هـــذه اللحظة]

دعينا لحظة يا صغيرتى .

أسموند : أكنتما تتحدثان عنى ؟

إدميه : كلا ، إن الأمر لا يتعلق بك .

أسموند : أبى . . . أتراك كنت تعيد على مسامعها ما قلته لك ؟

إدميه : ما هذه الأسرار أيضاً ؟

كلود : [مخاطباً أسموند] كان حديثنا يدور عن الخطاب الذى تلقيته منذ لحظة .

إدميه : لست مضطراً إلى تبرير ذلك .

أسموند : يبدو عليكما الاضطراب .

كلود : كلا . . قليلا . . نحن مرتبكان ، فأنا وأمك لسنا على وفاق تماماً . .

[تنظر إليهما أسموند فى ارتياب ثم تخرج متباطئة]

إدميه : أسمعتنى . . . إننى أعارض فى دخول هذا الشخص هنا . .

كلود : إننى أنتظر حتى تئوبى إلى الهدوء .

إدميه : أنت ، كلما فكرت فى أنى لم أرك غاضباً قط !

[تقع فريسة لرعدة عصبية]

أتعتقد أننى لا أتكهن بما يدور فى رأسك هذه اللحظة . . إنك تحتقرنى . لأننى مرتبكة . .

كلود . [بصوت منخفض] عزيزتى . . لقد حملتُ صليبك معك . .

إدميه : كلود . . إنك زوجى . . ولست قسيساً .

كلود : [بنفس اللهجة] إن ما حدث لنا قد أراده الله . . إن هذا لا يمكن أن يكون مجرد حادث عرضى . . إدميه . . إن هذه المحنة . .

إدميه : دائماً هذه الكلمة المروعة .

كلود : يجب أن نحياها فى إيمان المسيحيين .

إدميه : إنك لا تستطيع أن تحياها كإنسان .

كلود : [بصوت خافت] ألا تريدين أن تصلى معى؟

إدميه : [بلهجة توسل] . . دعهم يقولون إنك لست هنا . . أسموند ! [تحوم ويبقى كلود وحيداً ، ويحاول أن يركز نفسه فى تأمل صامت ، تتشابك يداه . صمت طويل . . تعود إدميه] لست أدرى أين ذهبت . . . أنا نازلة . . [كلود لا يجب] كلود ! ولكن

لماذا ؟ . . أكل هذا من أجله ، أم من أجلنا ؟

كلود : إننا إذا تقهقرنا أمام هذا اللقاء .. فإن ذلك يثبت . . لست أدرى . . يثبت أن الماضى لم يمت . وإننا لم نستطع الانتصار عليه . . وهذا جبن . . هذا عمل لا يجدر بك . . فانر . . مم تخافين ؟

إدميه : من كل شىء .

كلود : قال أحد الأشخاص : « إن الخوف ، علامة الواجب » .

إدميه : يا إلهى ! . . إنك تفكر . . . وتضرب الأمثال . الواجب ! وما دخل الواجب هنا ؟ آه . . اسمع . ألا تكون تلك مسرحية هزلية تلعبها على نفسك . . نوعاً من التمثيل !

كلود : مسرحية هزلية ؟

إدميه : دون أن تشعر .

كلود : هذا ما وصلت إليه حالنا .

[تسمع صوت أسموند خارج المسرح وهى تقول : « ولكن تفضل بالدخول يا سيدى .. فوالدى موجود، وسأخبره »] .

أسموند : [داخلا] أبى ، هناك سيد يريد أن يراك .

[يعلو الشحوب وجه كلود]

إدميه : [عيناها ثابتتان على كلود] وما اسم هـذا السيد ؟ .

أسموند : السيد ساندييه .

إدميه : أين كنتِ الآن ، من فضلك ؟

أسموند : كنت أحيي الطفلتين اللتين فوقنا تحية المساء .

إدميه : حسناً . . ثم . .

أسموند : وكان هذا السيد يصعد السلم حين نزولى .. وكنت قد أخذت المفتاح ، فدخل معى .

إدميه : إذن يا كلود ، أستقبل هذا السيد ؟

[حركة غامضة من كلود]

أسموند : [مخاطبة كلود] ولكن ماذا بك ؟

إدميه : إن أباك ليس على ما يرام تماماً .

أسموند : [تتجه صوب كلود ، ثم تقول فى رقة]
« ماذا حدث ؟

كلود : نوع من الدوار .

أسموند : سأقول لهذا السيد إنك لا تستطيع استقباله .
[صمت]

إدميه : [وكأنما تتحدث عنها] . . كلا . .
فليدخل . . إنه شخص كنا نعرفه منذ
أمد بعيد . أنا وأبوك . [تخرج أسموند ،
ونسمعها تقول : سيدى . . تفضل بالدخول من هنا]

المنظر الثالث

الأشخاص أنفسهم – ميشيل

[ميشيل سانديه رجل فى الخامسة والأربعين أو فى
الخمسين من عمره ، طويل القامة ، ولكنه محنى

الظهر قليلا ، . وجهه غائر من المرض بصورة شنيعة]

ميشيل : [منحنياً] سيدتى . . سيدى . . يؤسفنى أن أزوركم فى مثل هذه الساعة .

كلود : لقد أخطرنى أخى بأننا قد نتشرف برؤيتك هذا المساء . . من تحصيل الحاصل ، بالطبع ، أن نقدم لك ابنتنا ! أليس كذلك ؟ فقد تم التعارف بينكما من تلقاء نفسه .

ميشيل : [يلتفت ناحية أسوند] الواقع أن هذه الآنسة هى التى . . .

كلود : أظننى فهمت أنك مار بباريس مجرد مرور . .

ميشيل : نعم . . ومن الممكن أن أرحل غداً .

إدميه : [فى جهد] وأنت هنا منذ . .

ميشيل : منذ أسبوع . . ولكننى لا أحتمل باريس . إننى لا أتنفس فيها [صمت] . .

كلود : لقد وجدت أنا نفسى كثيراً من العناء

حتى تعودت عليها .

ميشيل : ومع ذلك فإنك لم تأت من « الأردش » إلى هنا مباشرة ؟

كلود : كلا . . فقد عينت أولا فى أبرشيه فى الشمال فى « اسكرشان » بالقرب من « ليل » .

ميشيل : لا بد أنها كانت جحيما .

كلود : أبداً . . فقد تركت تلك الأعوام فى نفوسنا ذكريات جميلة . . أليس كذلك يا إدميه ؟

إدميه : إن كل شىء يتوقف على . .

ميشيل : أظن أن السيد ليموان لا يعنى طبيعة الإقليم .

كلود : ومع ذلك فإن تلك المناظر الواسعة الحزينة لا تخلو من عظمة .

ميشيل : أما أنا فإنى عندما أمر عليها بالقطار ، أغلق النافذة . .

كلود : إن سكان تلك المنطقة أهل مودة .

ميشيل : آه ؟

كلود : لقد شهدت أنا وزوجتى مناظر مؤثرة جداً . . وإن رواية « الناس المساكين » لفكتور هيجو . .

ميشيل : إننا معارف قدماء يا آنسة أسموند . . دون أن تعرفى . لقد رأيتك عندما كنت صغيرة جداً ، فى الوقت الذى كنت أسكن فيه « بسان لودى تالقاس » منزلا كبيراً يشرف على الوادى ، وكنت أتردد كثيراً على والديك ، وهأنذا أتخيلك كما كنت فى تلك اللحظة . . وقد مررتُ على سانلو مرة أخرى منذ شهور .

كلود : أظن أنه لم يحدث فيها تغيير كبير منذ كنا هناك .

ميشيل : لقد شيدوا مصنعاً صغيراً لقطع الأخشاب شوه منظرها . وأعتقد أنه بعد عشر

سنوات ، ابتداء من اليوم ، لن يبقى هناك منظر واحد سليم .

كلود : ومع ذلك فإن مصنع قطع الخشب . . .

ميشيل : إن المرء لا يرى سواه . .

أسموند : إذن فهى أشبه بمصنع الغاز فى « فونفيل سان ڤنسان » فقد كانت لنا هناك فيلا صغيرة على الربوة المطلة على البحر ، وكان يمتد أمامنا منظر متسع ، ولكن كان فى نهايته مصنع للغاز . . .

كلود : أما أنا فلم أنتبه مطلقاً إلى هذا المصنع . .

أسموند : أنت محظوظ يا أبى . . فإنك لا ترى إلا ما يعجبك .

ميشيل : انتظرى لحظة ، « فونفيل سان ڤنسان » ولكنى مررت بها بالسيارة فى العام الماضى . . إنها بين دييب ونربيور ؟

أسموند : بالضبط .

ميشيل : ولكن لقد بدا لى ذلك فظيعاً . تلك

المكعبات من الكسب المغبر . بين حفرتين للتحصين . [أسموند تضحك] .

كلود : ولكنها كانت تعجبك . يا أسموند .

إدميه : طبعاً .

أسموند : الحق أننا لا نستطيع أن نحكم على مكان ما إلا بمرور الزمن . . وحينما أفكر فى فونفيل ، أؤكد لك أننى لا أشعر بأى حماس . .

ميشيل : هـذا صحيح ، الذكرى وحدها هى الصادقة . إنها هى أنفسنا .

كلود : لقد ارتبطنا هناك بصلات لطيفة . . ثم هناك البحر . . البحر . . إنى فى تمام الدهشة مما تقولين .

إدميه : إنك طيب القلب حقاً إذا كنت تأخذ من هذه السخافات مأخذ الجد .

ميشيل : خذ الموسيقى مثلا . . إنها أشبه بذلك . فالأثر الفورى الذى تتركه يكاد يكون دائماً مضللا .

كلود : أما هنا . . فأعترض .

ميشيل : أتكون الآنسة أسموند . . . . ؟

أسموند : إننى أحب الموسيقى حباً شديداً . . غير أن فرصة الاستماع إليها لا تتاح لى إلا نادراً .

ميشيل : ألا تعزفين على إحدى الآلات ؟ إننى أذكر أن السيدة والدتك . . .

إدميه : لقد هجرت كل ذلك منذ عشرين عاماً .

ميشيل : لقد كان عندكم على ما أذكر بيانو ممتاز من صنع محل إيرار .

إدميه : لقد تبرعنا به .

ميشيل : إن البيانو فى مثل هذه الحياة المليئة المستغرقة التى تحيونها يعد من المغريات .

إدميه : حتى لو كنا قد احتفظنا به ، لما وجدنا له محلا فى اسكيرشان .

ميشيل ! خسارة . [صمت] حينما مررت « بسان

لودى تلفاس » التقطت صورة أو صورتين

[مخاطباً أسموند] ربما أمتعك شيء من هذا القبيل ، يا آنسة ؛ فلا بد أنك سمعت الناس يتحدثون كثيراً عن هذا الركن الصغير .

[يناول أسموند صورتين أو ثلاثا]

أسموند : [تنظر إلى الصور] إنها ممتازة ، هـذه الصور .

ميشيل : إن الجهاز الذى التقطناها به جهاز صغير لا بأس به .

أسموند : انظر يا أبى ! [كلود ينظر من فوق كتفها] . يا له من ضوء شفاف . وأشجار الصنوبر هاتيك التى تصعد إلى السماء .

ميشيل : أتحبين أشجار الصنوبر ؟

أسموند : وأى حب ! أتذكر يا أبى بالقرب من بحيرة «شيرتا» . . إنسيقانها ورائحتها ثم .. كما تعرف . . تمايل أغصانها حينما يتحرك النسيم . .

ميشيل : [بصوت متنبر] أنا أيضاً أحب هذا كله .

كلود : [فجأة] . . يا إلهى ! موعدى !

إدميه : لا تذهب إليه .

كلود : إن فورسماير سيعود خصيصاً من أجل أن يرانى .

إدميه : ولكنك لا تعلم من حقيقة أمره شيئاً .

كلود : وفى المرة السابقة أخلفت موعده أيضاً .

إدميه : لم يكن ذلك خطأك .

كلود : كلا . . محال . [فى شىء من الحرج ، مخاطباً ميشيل] . إذا كان لديك شىء خاص تريد أن تفضى به إلى ، فهل من الممكن أن ننزل سوياً ؟ [ميشيل لا يجيب] . نعم إن ذلك المكان لا يبعد عن هنا سوى بضع خطوات . . ولن يكون لدينا الوقت الكافى . إنى محزون ، فلو أننى أُخبرت فى وقت مبكر .

[يحس الجميع بارتباكه]

ميشيل : [واقفاً] ربما استطعنا أن نحدد موعداً آخر . .

كلود : ولكنك سترحل غداً ؟

ميشيل : لم أقرر ذلك بعد .

كلود : إذن . . . تستطيع أن تتفق على ذلك مع زوجتى . . إلى اللقاء . . وأرجو المعذرة إذا تركتك على هذه الصورة . .

المنظر الرابع

ميشيل — إدميه — أسموند

ميشيل : أرى أن السيد ليموان مشغول إلى أقصى حد .

أسموند : إذ لأبى ضميراً مرهفاً إلى أقصى حد . .
[تمد يدها إلى ميشيل] طاب مساؤك ياسيدى .

ميشيل : إلى اللقاء يا آنستى . . إننى سعيد جداً

بتجديد تعارفنا [تخرج أسونت . . يتابعها ميشيل بنظراته . . فترة سكون]

إدميه : [في صوت منخفض] لماذا فعلت ذلك ؟ [حركة غاضبة من ميشيل] لو كان الأمر بيدي وحدي ، لما استقبلناك .

ميشيل : آه !

إدميه : والآن . . أتوسل إليك أن ترحل .

ميشيل : لماذا ؟

إدميه : أولا بسبب الفتاة .. ثم .. إنني لا أستطيع أن أراك .

ميشيل : أذلك لأنني لم أتغير كثيراً ؟ أم على العكس ؟ . . بالطبع أنت تعلمين حالتي . . وفضلا عن ذلك ، فأظن أنه ما كان ليطيق . . ولكن إذا تدبرنا الوضع الذي أصبحت عليه الأمور الآن ، رأينا أن ذلك يكاد يكون واجباً من واجبات مهنته . .

إدميه : أه ! اسكت .

ميشيل : لا شك أن زوجك فى غاية الأناقة من جميع الوجوه . . إنه يمثل مهنته أصدق تمثيل . . أنت تقولين إنك لا تستطعين رؤيتى . . حسن . . أما أنا . فأمرى غريب ، ذلك أننى لم أتأثر مطلقاً بوجودى بجانبك من جديد . أقول مطلقاً ، ونستطيع جميعاً أن نقول ما نشاء ، ولكن هناك أجزاء من نفوسنا كأنها جلد ميت ، ونستطيع أن نقص منها ما نشاء دون أن تنزف منها الدماء . . وقد وقعت لى أخيراً تجربة غريبة . فعندما فتحت الصحيفة طالعت هذه العبارة : نعلن خبر وفاة مدام كلود ليموان . . اسم شبيه باسمك . . حسن . . فاذا كان منى . . لا أستطيع أن أقول . . لقد كان ذلك أمراً بعيداً . . وكأنه لم يحدث لنا .

إدميه : [معذبة عيبها] هذا مريح .

ميشيل : أفترض أننا نموتِ كلا واحداً ، ولكننا نحيا قطعة قطعة .

إدميه : [فى مرارة] — ربما كان ذلك حقاً بالنسبة للرجال . . ولكننى ما زالت أنا نفسى دون تغيير .

ميشيل : أتعتقدين ذلك ؟

إدميه : ما زلت نفسى تماماً .

ميشيل : وهذا يعنى ؟

إدميه : أوه . لا تستنتج منه شيئاً . . فإنى أفترض أنى لم أحب أحداً على الإطلاق .

ميشيل : لقد وصلت أنا نفسى إلى هذه النتيجة منذ زمن بعيد . . إنك لم تحبى أحداً على الإطلاق . وربما كان ذلك هو السبب فى . .

إدميه : . . . أن النعى الذى قرأته لم يجعلك تنتفض . .

ميشيل : فى ذلك الحين . . ومنذ أن تحققت تماماً مما سيحل بى . . أخذت أستعرض وجوها

كثيرة . . وكان من بينها وجهك .

إدميه : بين عدد كبير من الوجوه .

ميشيل : إنني لم أعدها . . وكان وجها بارداً . متقلصاً لا رحمة فيه . . لم يكن وجهاً يتسم بالشجاعة . . وإنما كانت العيون مطرقة إلى الأرض . وكانتا عابستين . . أوه . . افترض أنهما كانتا تتألقان يوماً ما . ولكنني لم أعد أتذكر ذلك .

إدميه : ولما كانت الذكرى هى وحدها الصادقة .

ميشيل : بالضبط [صمت] . .

إدميه : وبعد . . أكان من الواجب أن أشعر بالشفقة نحوك ؟ كلا . . إن هذا عريب منك .

ميشيل : ولكن . . إذا كان ذلك لم يحدث لنا . أفلا تعتقد أنه من العبث استرجاع هذه القصة ؟ آه لو علمت كم هى تبدو لى عارية من كل زينة . . إنى أراها .

ولنسمها قصة حب . فى ضوء معتم

إدميه : إنها ليست قصة « مان — لو » .

ميشيل : هذا ممكن .

إدميه : ألا يبقى لك بعد هذه السنين العشرين إلا هذا الشعور ضدى . . هذا الشعور بالعداء ؟ لماذا تضحك ؟

ميشيل : ذلك لأن هذه الكلمة لا تناسب المعنى على الإطلاق . إنك لا تريدين أن تصدقينى حينما أقول لك إننى الآن . . . ولكننى كنت أحد عليك . . أجد عليك إلى حد الموت . .

إدميه : أكنت تحبنى إذن ؟

ميشيل : إن شطراً منى كان يحبك . . وما دام هذا الشطر قد مات . .

إدميه هذه مجرد ألفاظ .

ميشيل : لو عرفت إلى أى حد يعتبر هذا الذى

يعيش منى بعد شيئاً ضئيلا . . . لما بكيت على ما تبقى منى .

إدميه : [بصوت متهدج] إننى لا أفهم علام تلومنى . يا إلهى ! بعد عشرين عاما ما زلت تعذبنى . .

ميشيل : أعذبك ؟ ولكنك كنت على صواب الآن . . إنك ما زلت كما أنت . . وأذكر كيف كنت تعاتبيننى على الكلمات التى تنتزعينها أنت نفسك منى . . ومع ذلك فإن النساء الأخريات أيضاً على هذا النحو .

إدميه : ولكن أكان هناك نساء أخريات فى ذلك الزمن أيضاً ؟

ميشيل : لقد كان يعجبك أن تعتقدى ذلك ، وكنت حريصاً على ألا أنزع عنك هذا السرور .

إدميه : لست أفهم .

ميشيل : مشهد الغيرة الذى قمت به فى المحطة

الصغيرة . . حيث كنا نرتجف من البرد
ذات مساء . عند عودتنا من « ڤالنس » . .
[يهز رأسه فى ابتسامة] . .

إدميه : أتريد أن تقول إننى لم أكن صادقة ؟

ميشيل : كل النساء صادقات ، كل النساء سيئات النية .

إدميه : يحس المرء أن هذا الكلام ينطوى على تجارب غنية .

ميشيل : يؤسفنى أن أقول لك إنه منذ أن حدثت بيننا القطيعة . . لم أظل وفيا لك .

إدميه : ثم إنك لم تخف عنى نواياك . . فإن خطابك . .

ميشيل : بل ردّى . . لقد اعتقدت أنك أردت أن تجعلينى فى حل من أمرى .

إدميه : لقد عرفت كيف تستغل ذلك أكبر استغلال . .

ميشيل : أكبر استغلال .

إدميه : ما أشبهك بنفسك !

ميشيل : لقد استغللت هذه الحرية التى أعدتها إلى أكبر استغلال ممكن . . حسن . . إننى استغللتها إلى درجة أننى سأموت بسببها . . الأمر فى منتهى البساطة كما ترين . وتستطيعين أن تتحققى من أنه لا وجود لأية رعشة فى صوتى .

إدميه : أمن الممكن أن يقتلك خطاب ؟ إنه لم يتضمن أية كلمة يمكن أن تجرح شعورك .

ميشيل : إن الطريقة التى كشفت بها عن علاقتنا لزوجك . . ثم بعد ذلك هـذا الشعور الجبان بالحاجة إلى الترقيع . .

إدميه : ولماذا تصف هذه الحاجة بالجبن ؟ لقد كان فيها شىء من المخاطرة . .

ميشيل : لم يكن فيها شىء من هذا ، وأنت تعرفين ذلك . وإنى لأذكر ما كنت تقولين عن زوجك . . كلا . . لقد وضعت كل

شيء فى الميزان . وقدرت أن الراحة النفسية والأمن . وسلام الروح . . وماذا أدرى . .

إدميه : إننى لم أزن شيئاً . . كل ما فى الأمر أننى أحسست فجأة أن حياة الأكاذيب هذه تفزعنى .

ميشيل : هكذا . . فجأة ؟ .

إدميه : ثم . . لو أنك أردت . .

ميشيل : كيف ؟

إدميه : لو أنك عرضت على الفرار معك . . . لوافقت . .

ميشيل : ومع ذلك فقد عرضت عليك ، ورفضت .

إدميه : لقد أحسست بترددك . . . ولو أنك ألححت . .

ميشيل : ألا ترين أنه من المبكى حقاً ، بل مما يدعو إلى السخرية أن نناقش غراميات صبانا ! فأنا بعد ثلاثة أشهر ، سأكون فى مقبرة .

بيرلاشيز . . وأنت ! لا أدرى ماذا أقول
يا إلهى ! . . قد تصبحين جدة . . ولهذا
فإنى أتساءل حقاً . .

إدميه : إنك عندما قلت الآن . .

ميشيل : ماذا ؟

إدميه : أريد أن أعيد العبارة التى قلتها عن
حريتك . . لكأنك تجعلنى مسئولة
عما حدث لك . .

ميشيل : ياللحماقة !

إدميه : بلى . . بلى . . لقد قلت ذلك بلهجة
أعرفها جيداً . . ألم تكن جاداً فى ذلك ؟
قل إنك لم تكن جاداً ! لكأنما حقنتنى
بالسم . . هذا مروع . . ولكن لو أنك
كنت متمسكاً بى ، لمَا عَرَضْتَ على
هذا العرض مرة واحدة فى لحظة من لحظات
النشوة ... ولكنتَ أعدته على مرة أخرى .

ميشيل : [ينظر إليها محدقاً فيها ببصره] — أأنت
واثقة أن ذلك لم يكن إلا لأنك تعرفين

أنني سأتحدث إليك عن ذلك مرة أخرى.
ولأنك كنت تخافين أن . .

إدميه : وبعد ؟

ميشيل : ولهذا أفصيت إليه بكل شيء . . إذ ذلك يبدو كما لو كنت قد سارعت بإقامة حدار بيننا .

إدميه : لا أفهم .

ميشيل : إن عطفه وكرمه اللذين حسبت حسابهما مقدماً . .

إدميه : وكيف حسبت حسابهما مقدماً ؟

ميشيل : [بقوة] اللذين حسبت حسابهما ، قد جعلا رحيلك أمراً محالا . . إنك كنت تتحدثين عن المخاطرة ، أما المخاطرة الحقيقية الوحيدة فقد كنت . . كنت أجبن من أن تُقدمي عليها . . لقد اخترت أسهل طريق . . وهو طريق الاعتراف . . ها أنت ذى لا تعترضين مجرد اعتراض، ذلك لأن ما أقوله حق لا شك فيه . .

أوه . . وفضلاً عن ذلك فإن الحب . .

[يبدى حركة تدل على الاشمئزاز] . .

قبل أن أذهب كان لا بد لى من شىء أقل استهلاكا . . أقل ابتذالا . [ينظر إلى الجانب الذى خرجت منه أسموند . تراقبه إدميه فى قلق] . . ثم ؟ ؟

إدميه : إنك لم تجب على السؤال الذى وجهته إليك الآن . . إننى عندما سأخلو إلى هذه الفكرة . . ولكن هذا سيكون فظيعاً منى .

ميشيل : أية فكرة ؟

إدميه : [تخفى رأسها بين كفيها] — فكرة أن ذلك كان نتيجة لخطئى بعض الشىء . .

ميشيل : أرى . . أنك تحرصين كثيراً على أن أقدم إليك شهادة . . حسناً . . إننى آسف جداً . ولكنى لا أستطيع . ثم إنك تفتقرين كثيراً إلى الخيال . .

. . إنك لم تدركى مطلقاً أننى كنت أحبك .

أوه ! . . ينبغى لنا ألا نرتجف لدى سماع
هذه الكلمة . أولا ، لأن هذا كله
قد أصبح شيئاً بعيداً . . هيه ثم إنه أشبه
شيء بالمرض القذر . . ولكن لو كان
لديك من الجرأة أكثر مما لديك ، ومن
الفضيلة أقل مما لديك ، حسن ، لربما
استطعنا أن نحيا حياتنا . ولكن . . بعد
اعترافك ، ماذا أقول ! أظن أنك
قد استنمت . وأنى قد اغتدرت . . ويكفى
أن تنظرى إلى . إن هذه أشياء لا يمكن
أن تُرْوى . [ينهض] والآن ، اسمعى :
أرى أنك قد فهمت إلى حد ما . . فينبغى
أن تدعينى أرى تلك الفتاة من حين
لآخر . . أوه ! وتكرمى بألا تنسبى إلى
ذلك النوع من العاطفية الرخيصة . .
كلا . . فمن الصعب على وأنا فى هذه
الحالة أن أجد أفكاراً ليست . .

إدميه : أنت تعلم أن هذا محال . بأية حجة ؟ وكيف أشرح لها ؟

ميشيل : أوه . أخبرها بأى شيء . . أتريدين أن أعضها دروساً فى البيانو ؟ ابحثى عن مبرر ما . وستجدينه . . إلى اللقاء . . من هنا ، ثم إلى اليسار ، أليس كذلك ؟ [يخرج دون أن يرافقه إدميه] .

المنظر الخامس

إدميه — ثم أسموند

إدميه : [مريضة لانتعال داخل هائل — تجلس وتتمدد كتاباً . ثم تضعه على المنضدة ، تنهض ثم تذهب إلى الباب فى آخر القاعة . . لتواريه] .

إدميه : [إلى أسموند التى تدخل وهى ترتدى ثياب الحمام] .. لقد ظننتك نائمة . . إلى من تكتبين ؟ تعالى لحظة من فضلك .

أسموند : يلوح لى أنه من العبث الدخول فى مناقشة .

إدميه : وكذلك ليس هذا قصدى . لقد صعدت الآن إلى أعلى دون أن ندرى ؟

أسموند : إننى لا أخفى سراً . من هذا السيد الذى خرج من هنا ؟ ولماذا لم تحدثينى عنه مطلقاً ؟

إدميه : إنه شخص لم نعد نراه قط منذ زمن بعيد

أسموند : ولكن . . يا لها من فكرة أن يزور الناس فى مثل هذه الساعة !

إدميه : من الممكن أن نفترض أن هذه هى اللحظة الوحيدة التى يستطيع أن يكون فيها غير مشغول .

أسموند : شىء غريب . . لقد كان والدى شاحب الوجه . .

إدميه : إنه مريض بعض الشىء هذا المساء .

أسموند : إذن فكيف تركته يخرج ؟

إدميه : تعلمين جيداً أن والدك لا يتبع إلا رأيه . . ولكن ليس هذا هو الموضوع . . إننى

أريد أن أفرغ من مسألة « ميجال » إلى الأبد . .

أسموند : ليست هناك مسألة عن « ميجال » .

إدميه : ولكن لا داعى للمشاغبة . أليس كذلك . . إننى لا أرى اعتراضاً على أن تأتى الطفلتان إلى هنا من حين لآخر . . . ولكننى أعترض على صعودك عندهم .

أسموند : بالاختصار . . . أنت لاتثقين فى ، ولا تتوهمين أنه إذا كان لهذا الخطر وجود حقاً ، فإن هواجسك لن تزيده إلا حدة .

إدميه : من الذى تحدث عن خطر ؟ إن مسلكك غير لائق . . هذا كل ما فى الأمر .

أسموند : وأبى . . ما رأيه ؟

إدميه : إن أباك لا يغطن إلى مثل ذلك . .

أسموند : أى أنه لا يرى رأيك الذى لا يخلو من جور . .

إدميه : أى رأى لا يخلو من جور ، من فضلك ؟

أسموند موقف الرغبة فى التصغير من شأنى . . وجرحى . . و . . بل إنك منذ لحظة وفى حضور هـذا السيد ، قد جعلتنى أضحوكة .

إدميه : عندما يهتم المرء بنفسه إلى هذا الحد ، فإنه لا يرى من حوله إلا إهانات وأخطاء . . هذا مؤكد . . ولو أنك كرست للآخرين معشار الاهتمام الذى تؤثرين به شخصك الكريم . .

أسموند : أمى . . أنا لست أنانية .

إدميه : هذا أول خبر أسمعه عن هذا الأمر .

أسموند : إننى أقل منك أنانية . . إنك لا تصنعين أى شىء بشغف . . وهذا وحده هو المهم . فلا حضور اللجان ، أو الإشراف على جمع التبرعات أو صنع الجوارب هو الذى يثبت أن المرء طيب . . إنك لست طيبة . . ولست أفضل منى . . وما على

المرء إلا أن ينظر إليك حين تتحدثين إلى
مريض . . أنك لاتبتسمين مطلقاً . . .
وكل ما تبذلينه هو . . هو . .

إدميه : أكمل . .

المنظر السادس

الأشخاص أنفسهم – كلود

كلود : [مخاطباً أسموند] – أما زلت هنا ؟ أصغى
إلى يا عزيزتى . . تسدين إلىّ معروفاً لو
أعدت لى قدحاً من الشاى . . لقد تجمدت
من البرد عند فورستماير . .

إدميه : وأظن أنكما لم تصلا إلى شىء . .

كلود : لقد تحدثنا .

إدميه : هذا حسن . . [مخاطبة أسموند] استعملى
الموقد الكهربائى . . . أليس كذلك ؟
[تخرج أسموند]

كلود : [مخاطباً إدميه] أمكث طويلا بعد خروجى؟

إدميه : بضع دقائق . صمت .

كلود : وهل بقيت أسموند طول الوقت ؟

إدميه : كلا .

كلود : أعتقد أنني لو تنبأت بما سيكون عليه الأمر . .

إدميه : أرأيت . . إنني كنت على صواب .

كلود : كلا . . فإن ذلك كان يعد جبناً . ولكنه حينما تحدث عن « ساذ لو » . . . ثم ، لست أدرى . . هذه اللهجة الساخرة التي يشوبها الامتعاض من كل شيء .

إدميه : إنه مريض جداً .

كلود : نعم . . وكنت مضطراً أن أردد فى نفسى طول الوقت أنه شخص بائس .

إدميه : حقاً ؟

كلود : ولو لم أفعل ذلك ، لقلت له أن يخرج . فإن طريقته فى النظر إلى الفتاة . . ألاحظت

ذلك ؟ . إن هذا بالذات هو ما لم أستطع احتماله .

إدميه : أه ! حسن . . لقد فهمت .

كلود : وعند ما دخل .. ومد إليك يده ، أحسست فى بداية الأمر كأنه شبح .

إدميه : أجل .

كلود : ولكنه بعد ذلك ، حينما نظر إلى الفتاة ، تمشت الحياة فى وجهه . . وكان ذلك أسوأ وقعاً على نفسى .

إدميه : [تذهب إلى الباب] نعم ! أسموند !

أسموند : [خارج المسرح] — إن الماء لم يغل بعد .

إدميه : [مخاطبة كلود] أيمكن أن نضع شيئاً من الخمر فى قدح الشاى ؟ كلا ؟

كلود : لا داعى لذلك .

إدميه : [فى سخرية] لقد نسيت أنك قد وقعت ذلك التعهد إياه .

كلود : ألا تستطيعين أن تقصّى على شيئاً مما قاله لك . هذا إذا كان ذلك لا يؤلمك بالطبع ؟

إدميه : [فى حدة] — كن بطراً عسير الإرضاء ؛
كن سيئ الظن ؛ كن ضيق الأفق ؛
فإنى أفضل ذلك .

كلود : ما ذا تقصدين ؟

[تدخل أسموند حاملة قدح الشاى ، وتضعه على المكتب] .

أسموند : لقد وضعت لك قطعة واحدة من السكر ..
والآن سأذهب للنوم . . . طاب مساؤك
يا أبى . . آمل أن يمدك الشاى بالدفء

كلود : طاب مساؤك يا عزيزتى .

إدميه : إلى اللقاء [تخرج أسموند — وتمر فترة من الصمت . . كلود يشرب الشاى] أتحسن حالك بعد أن شربت شايك ؟

كلود : وبعد ؟

إدميه : حسن . . لقد حدث شىء ما . . كلود !
إننى فى حاجة إليك .. يجب أن تساعدنى ..
يجب أن تكون قادراً على معونتى . . .

فهناك فكرة مخيفة على وشك أن تستقر في نفسي . اطردها . لقد تحدثنا عما حدث في الماضي . . ولكن . لا داعي للحقد علينا . كان ذلك غريباً جداً . . وكأن ما حدث قد حدث بالأمس . كأن هذه الأعوام العشرين لا وجود لها . . ومع ذلك فهو يحتضر . . وأنا . . أنا . . لقد اكتشفت أنه أكثر تعاسة مما كنت أظن . . بل إنه ليس تعساً فحسب . . إنه يائس . . وربما كان ذلك هو السبب الذي جعله يخيا ذلك الوجود الذي أشرف به على الهلاك . . أو على الأقل . . هذا ما يعتقده . . وبالطبع ، من الممكن أن يكون مخطئاً . . وربما . . لو أنني استطعت أن أقنع نفسي على الأقل بأنني قد أحسنت التصرف عندما اعترفت لك بكل شيء . . لكنه يدعي . . أن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً . . هذا أكثر مما . .

كلود : ما هذا الذى لا يمكن أن يكون صحيحاً ؟

إدميه : إنه يقول إننى كنت خائفة ، وإننى لم أجد الشجاعة الكافية لقبول الحياة معه ؛ وإننى اعترفت لك كى أقيد نفسى ، لكى أسد الطريق فى وجهى . .

كلود : لست أفهم .

إدميه . بل أنت فاهم . فقد كان المقدر أنك بعد أن تعرف كل شىء . وتصفح عنى ، لم يعد فى وسعى أن أهجرك ؛ أتفهم ؟ . . إنه يقول إنه لم يكن هناك ما أخشاه من ناحيتك . وأنى كنت أستطيع المضى دون حرج ، وهذا حق . فإننى لم أكن أخشاك . وهذا هو أفظع ما فى الأمر [فى مرارة متزايدة] والحقيقة أنى لم أتحدث إليك ذلك المساء . كما لو كنت زوجى .

كلود : إدميه !

إدميه : هذا سبب كل شىء . فلو أنك كنت زوجى . ولو أنك أحببتنى كما يحب

المرء زوجته بكل ما فيه من حسنات وسيئات . .

كلود : سيئات ؟

إدميه : أنت تعلم جيداً أننى لم أكن لأخونك فى هذه الحالة .

كلود : إنك لستِ فى تمام وعيك . .

إدميه : إن صوتك يبدو فجأة زائفاً فى سمعى .

كلود : إن الثقة التى وضعتها فى . .

إدميه : الثقة ! كلما أحب المرء ، ازداد ارتياباً . .

كلود : بالنسبة لقلوب مثل قلبينا . .

إدميه : أولا إن هذا الصفح الذى لم يكلفك شيئاً . لم يكن من حقك أن تمن على به .

كلود : أليس من حق أن أحميك من نفسك ؟

إدميه : هذه مجرد كلمات . . فقد كنت حكَماً وطرفاً فى القضية . . أوه ، إننى لا أريد أن أقول إنك كنت تحبنى . لا تعترض . .

فلنقل إنك كنت تحبنى فى الله . . كلا . .
ولكن ، لم يكن هناك حينئذ غيرى .

كلود : والباقى لم يكن له اعتبار .

إدميه : سلطانك على النفوس ؟ دعنا من ذلك ،
إنك لست عادلا فى هذه اللحظة . . فإن
الفضحية الناجمة من وقوع الانفصال
بيننا . .

كلود : لم تكن لتقع إلا عليك .

إدميه : ولكنك لست جاداً فى اعتقاد ذلك . .
ثم على الأخص . . على الأخص . .
كانت فرصة رائعة لإظهار مواهبك
التبشيرية . .

كلود : [ينهض شاحب الوجه] اخرسى .

إدميه : أه ! لقد ثبت إلى نفسك .

كلود : اخرسى . . فإنك تحطمينى .

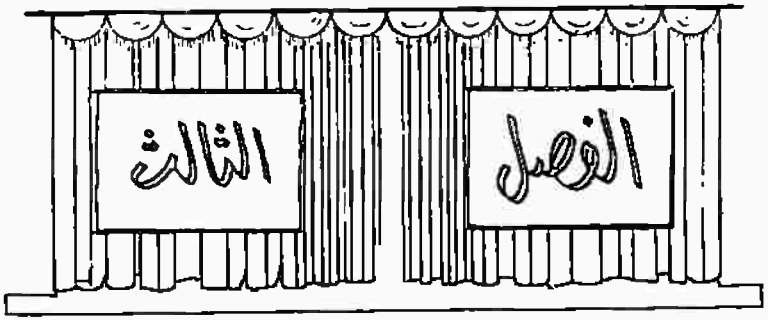

« ديكور » الفصل السابق نفسه

المنظر الأول

كلود — فرانسيس

[فرانسيس جالساً إلى المائدة يكتب تذكرة دواء] .

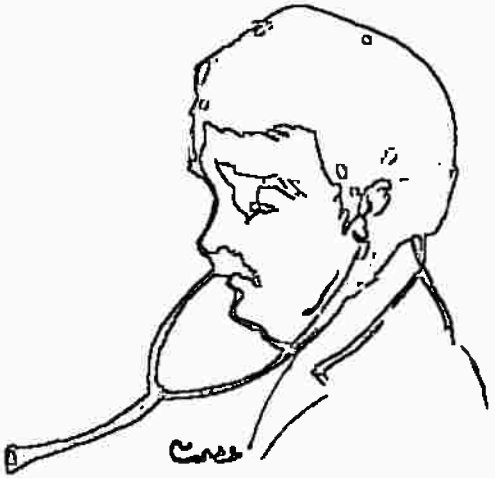

فرانسيس : المسألة بإيجاز عبارة عن إجهاد عصبي ،

ودواء مقوى ينيدك فى هذه الحالة .

كلود : سيكون فى وسعك أن تذهب لتطمئن والدتى . . وعلى كل حال لست أفهم لماذا يتعلق المرء باله من أجل أمر تافه لا يستحق كل هذا العناء .

غرانسيس : والواقع أن ذلك يرجع إلى المرض الذى أفضى بوالدنا إلى الموت .. أتفهم .. ولكن لا علاقة بين هذا وذاك . [ينهض] إليك هذه الوصفة . . ملعقة مرتين فى اليوم الواحد قبل تناول الوجبتين الرئيسيتين . . والآن يا صغيرى . . يجب أن أذهب بأسرع ما يمكن .

كلود : اصغ إلى . . كنت أود أن أنتفع بانفرادنا . . ولكن يجب أن تعدنى بأن تقول لى الحقيقة . . أليس كذلك ؟ إننى أعتمد على ذلك . . . وهذه هى المسألة . . إنها بخصوص ما حدث منذ زمن فى سان — لو .

فرانسيس : كنت أرتاب ريبة قوية فى أن هناك شيئاً يشغلك .

كلود : إن الأمر يتعلق بى . . أريد أن أعرف مثلا إذا كنت قد أيدتنى حينما صفحت عنها ، فهل أيدتنى ؟ . .

فرانسيس : أنت تعلم جيداً أننى لم أسمح لنفسى مطلقاً بأن يكون لى رأى فى هذا الموضوع . . . وفى مثل هذه الحالة يتصرف كل إنسان بما يمليه عليه قلبه أو ضميره أو أى أمر شئت . . وأعترف لك بأننى لا أفهم معنى سؤالك .

كلود : ألم يدهشك ما فعلت ؟

فرانسيس : كلا . . مطلقاً . . لأننى أعرف شخصيتك ومعتقداتك . . يا إلهى ! . . بل و . . .

كلود : [بلهجة غامضة] — ومهنتى ؟ . .

فرانسيس : من حيث ارتباطها بشخصيتك .. أجل . . بلا شك . .

كلود : لقد وجدت هذا أمراً طبيعياً جداً .

فرانسيس : ولكن . . قصارى القول . . إلى أين تريد أن تنتقل يا صغيرى ؟

كلود : هذا بالذات ما كنت أريد أن أعرفه .

فرنسيس : إننى ما زلت أعتقد حتى اليوم ، أن ما فعلته حينئذ كان يتمشى مع أسلوب الحياة الذى ارتضيته لنفسك . [صمت]

كلود : شكراً . . لقد أجبتنى فى وضوح تام .

فرانسيس : [يأخذ رأسه بين يديه] وأخيراً . . ماذا يعنى هذا كله ؟ أيمكن أن يكون الأمر مثلا ؟ . . لا بأس أن أؤجل عيادتى لمريضى بعض الوقت ، فلينتظر . . إننى أريد أن أتبين المسألة فى وضوح .

كلود : أوكد لك أنه لا أهمية لذلك على الإطلاق . .

فرانسيس : إنك على وشك الإصابة بلوثة . . لقد أخطأت خطأ شنيعاً حينما لم أطرد هذا

المسمى ميشيل ساندييه ؛ . ذلك لأنه مما لا شك فيه أن . . :

كلود : إذا كانت حياتى يعتورها شيء من اللبس والغموض . . فقد كان من الأفضل أن أبدده .

فرانسيس : لَبْس ؟

كلود : إذن ، فربما لم تفهم ما أريد ؟ . المسألة أن المرء قد يعيش أعواماً طويلة على فكرة معينة عن نفسه ، ويعتقد أنه يستمد منها قوته . ثم يلاحظ فى النهاية أنه ربما كان مخطئاً فى ذلك خطأ فاحشاً .

فرانسيس : ومن الذى يتحدث عن ذلك ؟

كلود : ربما . . بل إنه لا يستطيع حتى أن يتأكد من ذلك ، وبالتالى لا يستطيع أن يعرف ... فيحس بالضياع . . . أخيراً كان ينبغى أن تكون أفكارى وأقوالى القديمة شفافة بالنسبة لى . . وكان يجب أن

أتعرف على نفسى وكأننى فى منزلى الخاص . . حسناً إن الأمر الآن على خلاف ذلك . . ولم أعد أستطيع النفاذ إلى نفسى .

فرانسيس : إنك تبدو لى فى هذه اللحظة ، وكأنك تقوم بتفليق الشعرة إلى أربع شعيرات . . ولكن خذ حذرك هذا كل ما فى الأمر . لأن هذه التأويلات الموغلة فى البروتستانتية لا تخلو من أخطار .

كلود : هذه الأخطار . . أنا لا أخشاها . إننى ألتقى كل يوم بأناس يعتبروننى ضميرهم الخاص . .

فرانسيس : هذه غلطتهم ، فليتحملوا وزرها .

كلود : إننى إذا لم أجد الشجاعة لاستشفاف ما فى نفسى .

فرانسيس : إنها ليست مسألة شجاعة . . . [ينهض] هيا بنا . . . يجب أن أتركك الآن . .

ولكن . . احترس ، فإن هذه اختلاقات تكلف . . وأحياناً تكلف كثيراً .

كلود : تحدث إلى يا فرانسيس بوصفك إنساناً . . لا بوصفك إخصائياً . .

المنظر الثانى

الأشخاص أنفسهم — إدميه

إدميه : هذا أنت ؟ لم أكن أعرف أنك هنا .

فرانسيس : إنها أمى التى طلبت منى المرور من هنا . . فإن صحة كلود قد أثارت القلق فى نفسها . وأنت تعلمين أنها تجزع سريعاً .

إدميه : فماذا وجدْتَ ؟

فرانسيس : لا شىء . . مجرد إرهاق عصبى بسيط . الضغط عادى والقلب سليم [بصوت منخفض] حسن . . هل وصل الساكن الجديد ؟

إدميه : أجل . . إنه الآن يضع أدوات حمامه فى حجرته . .

فرانسيس : أه ! . أه . !

إدميه : أجل ! ! فهذا هو شغله الشاغل الآن !

فرانسيس : إلى اللقاء !! يا عزيزى .. أستطيع الاعتماد عليك . . ! أليس كذلك ؟ إلى اللقاء يا إدميه . ! [يخرج] !

المنظر الثالث

كلود — إدميه

إدميه : وهكذا تشعر بأنك مريض !

كلود : كلا ، على الإطلاق . . وأحب أن أقول لك مرة أخرى إنها أمى التى خيل إليها . !

إدميه ! [شاخصة إليه] إن وجهك شاحب اللون !

كلود .! دعينى من هذا .

إدميه : أه ! إنها غلطتى . . آه لو علمت كم أحقد على نفسى .

كلود : لقد كشفت لى عن أعمق أعماق فكرك . . فليس من حقى إذن أن ألومك على ذلك .

إدميه : أعمق أعماق فكرى ! ولكن هل أعرف أنا هذه الأعماق ؟

كلود : ألا تذكرين أول من أمس ؟ . . .

إدمية : بلى ، وقد كنت مخلصة فيما قلت ، ولكن لا أدرى ، لا شىء يثبت للبحث ، لا شىء يتسم بالصلابة ، وهذا الذى تظنه أرضاً صلبة قد يكون هوة .

كلود : إنها كذلك ، إنها هوة .

إدميه : غير أن هذه الهوة نفسها تزول بامتلائها .

كلود : هذا يعنى أننا نغض عنها نظرنا .

إدميه : أؤكد لك أن الاكتشاف الذى بدا لك عميقاً والذى آلمك إخلانه لم يصبح شيئاً . . بل إننى أعجب كيف أمكن

تصديته . فلتعلم أننى فكرت ملياً منذ ذلك اليوم . وعندما تظهر هذه الومضات فجأة ، فليس على المرء إلا أن يغمض عينيه . . ولا بد للمرء أن يثق فى نفسه .

كلود : حسن . . إنك تخدعين نفسك عامدة ، كما أنك تعيشين على أوهامك . أما أنا ، فلا أستطيع .

إدميه : [مرتجفة] . . هل أستحق أنا ، لما كان منى حتى الآن ، هذا اللوم ؟ تكلم . [صمت ثم تقول فى حزم] ليس من حقك أن تشك فى نفسك . . إنك هنا لكى تمنحنا القوة . . إنها مهنتك أولا وقبل كل شىء . . إننى لا أستطيع أن أحتمل فكرة استسلامك . وأخيراً . . فكر فى المحنة التى اجتازها الآن . . ذلك الرجل . . فإذا لم أجد فيك سنداً . .

كلود : [بعمق] . . . لقد اعتقدت أن هذا العفو

كان عملا من أعمال الإحسان ، عملا
يليق برجل مسيحى [حركة من إدميه] .
فإذا كنت لم أقصد به إلا الهرب من
الفضيحة أو العزلة . . . أما الآن
وقد أرغمتنى على أن أفتح عينى . فإنك
جئت تضعين راحتيك فوقهما لكى
يسود الظلام مرة أخرى . . فماذا تريدين
منى إذن ؟ ومادا فعلت لك ؟ .

إدميه : إننى ضعيفة . وينبغى لك أن تساعدنى .

كلود : لا يصح أن يكون ذلك بأى ثمن .
ولا على حساب كذبة ما . . إننى
لا أستطيع ذلك ولا أريد . . [صمت
طويل] . .

إدميه : [فى لهجة عاطفة] . . حسن ، إنك على
حق فى نهاية الأمر . . إذ يجب أن
نواجه الأمور مواجهة حقيقية .

كلود : لا سبيل إلى غير ذلك . .

إدميه : ولكن ، ألا تعتقد أن ثمة أسئلة كثيرة

يستعرض سبيلنا ؟ فنحن لسنا وحدنا في هذه المسألة .

كلود : هل تعنين أسموند ؟

إدميه : لا أعني أسموند وحدها . . وهذا الرجل الذي أوشك على الموت . . لأي شيء نراد ضحينا به ؟

كلود : كفى .

إدميه : إنني أجيب عوضاً عنك : إننا ضحينا به في سبيل أنانيتنا ، في سبيل جبننا .

[همس أنها على وشك البكاء . . تشيح بوجهها عن كلود ، وتهز كتفاها برجفة تشملهما] .

هذا إذن هو كشف الحساب . ومسئوليتي في ذلك ليست أقل من مسئوليتك .

كلود : [في شبه وثبة] ومع ذلك فقد أنقذتكما أنتما الاثنين .

إدميه : مم ؟

كلود : ماذا كنت تصبحين بغيري ؟ كان من الممكن أن يخدعك بدورك .

إدميه : فلنفترض ذلك . . فماذا كان جزاء إخلاص كإخلاصك ؟

كلود : لا بد أنه سبب لك العذاب .

إدميه : إنك تعلم أنه عندما يكون الحنان مجرد فضيلة مهنية . .

كلود : والصغيرة . . إذا كان قد أصبح له ملاذ . .

إدميه : يا له من ملاذ دافئ ! . . أوه . . إننى أفهمك جيداً ، فهذا الإفلاس الذى يواجهنا . .

كلود : لا إفلاس هناك ، وأيا كانت نقط ضعفى ، فإننى ما اعتقدتُه دائماً فى نفسى . . ومن العبث أن تحاولى هدمى . .

إدميه : ربما كانت هناك وسيلة لإثبات ذلك .

كلود : لإثبات ماذا ؟

إدميه : إنك كنت دائماً الشخص الذى اعتقدته فى نفسك .

كلود : لماذا يوجد كل هذا الخبث فى عينيك ؟ ماذا صنعت لك ؟

إدميه : إنك لم تصنع بى شيئاً . . . لقد كنت أنت نفسك . . وكنت أنا نفسى ثم تزوجنا . . وهذا يكفى . . أما ما تسميه بخبثى . . فأنت تعلم أن عشرين عاماً من العذاب . .

كلود : من العذاب ؟

إدميه : إنى لم أكن أعرف ، أنا نفسى ، كم تعذبت . . فقد نسيت ذلك . . إننى لم أحس بذلك إلا فى الأوقات الأولى ، قبل أن ألتقى بميشيل ، وعندما علمت أن الحب بالنسبة لك . .

كلود : بل لقد أحببتك بهذه الطريقة .

إدميه : كلا . . لقد كانت لديك قوة صحيحة غير منقوصة ، وقد أنفقتها معى كما لوكنت تنفقها مع ابنة لك . ولكن . . ليس هذا هو الحب ، وأنت تعلم ذلك جيداً . .

أما غير ذلك . أما حبك لروحى ،
أما المرأة التى توجد داخل نفسى ، فإنك
لم ترضها ، بل إنك لم تفطن إلى
وجودها . ..

كلود : المرأة التى فى نفسك ؟

إدميه : أجل . . إنك لا تستطيع أن تفهم . .
أوه .. من المحتمل ألا يكون هذا ذنبك ..
إن ذلك كله هو لضربة التى دفعتها على
فضائلك . [صمت] .

المنظر الرابع

الأشخاص أنفسهم — فريد

فريد : [يفتح الباب بهدوء] — عفواً . .

إدميه : ما هذا ؟ من الأفضل : فى المستقبل أن
تقرع الباب . . أتفهم ؟

فريد : بالطبع . إنه لن يدخل .

[يلقى نظرة تساؤل على كل من كلود وزوجته]

إدميه : برميل الحمام ؟

فريد : لست أدرى ما ينبغى فعله ، وقد جئت ألتمس لديكما النصيحة . إذ أنى قد دفعت من أجله رسوماً زائدة على مناعى تبلغ مائتان من الفرنكات . فهل يستطيع المرء بيعه ؟ [موجهاً كلامه إلى كنود] يا سيدى . . ثمة نصيحة أخرى ألتمسها عندك . هل تستحق دروس « لافيل » عناء حضورها حقاً ؟ هناك من يقول إنها هائلة . . ولما كان والدى قد كتب إلى أن أنتفع إلى أقصى حد من إقامتى . . غير أن ما يحيرنى هو أن أستاذ السلاح الذى يقيم هنا بالقرب منا يلقى دروس الشيش فى الوقت نفسه . ولما كانت أمى قد أوصتنى بألا أهمل التمرينات الرياضية . . . سيدى ، ماذا تعتقد ؟ أيمكن أن تكون هذه الدروس حقاً هائلة ؟

إدميه : دروس « لا فيل » أم دروس الشيش ؟

فريد : « لافيل » يا سيدتى . . فإننى أعلم ما هو الشيش . .

إدميه : من العسير أن أرد عليك الآن ، فنحن مشغولان فى هذه اللحظة .. بعد قليل .. أليس كذلك ؟

فريد : أرجو المعذرة [يخرج] .

المنظر الخامس

كلود — إدميه

إدميه : وفى ظرف ثلاثة أعوام سيكون هذا الصبى فى إحدى مصحات الأمراض العقلية بجبال الجورا .

كلود : [فى صوت مختنق] — ماذا كنت تريدين قوله فى هذه الساعة ؟ ما هو هذا الدليل ؟

إدميه أتريد أن تعرفه ؟

كلود : ما هو ؟

إدميه : حسن . . لقد شاهدته مرة أخرى .

كلود : أكنت عنده ؟

إدميه : لقد ضربنا موعداً عند « لوتسيا » حيث يقطن . . ثم خرجنا معاً . ولكنه كان لا يكاد يستطيع المسير ، ولم يلبث التعب أن استولى عليه ، فجلسنا على إحدى الأرائك الخشبية .

كلود : ثم ؟

إدميه : لم يعد يوجه إلىّ أى لوم . . . وكانت الحال أسوأ منها فى اليوم الآخر . وقد ظفق يحدثنى عن مرضه . كما سألنى بوجه خاص عن أسموند ، وسألنى متى يستطيع أن يراها مرة أخرى .

كلود : [بقوة] — إننى لا أريد أن يراها مرة أخرى . .

إدميه : [بلهجة غاضبة] — هكذا أنت .

كلود : ولكن ، بأية حجة ؟ لقد أثرنا

الاضطراب فى نفس الفتاة الصغيرة ذلك المساء . وفى هذه الحالة سنضطر إلى مصارحتها بكل شيء . . وهذا مستحيل ولن تستطيع احتماله . .

إدميه : أتعتقد أنها ضعيفة إلى هذا الحد ؟

كلود : أتحتملين أنت نفسك يا إدميه مجرد فكرة . . أن تحكم عليك ابنتك ؟

إدميه : إذن . . فمن أجلى تصنع ذلك ؟ كلا . . أرجوك . . . إننى لست مغفلة لأصدق هذه المهزلة .

كلود : إننى أفهم الآن ما يدور بفكرك .

إدميه : جائز .

كلود : ولكن . . هذا خطأ ، إنه ليس جبناً ، وإنما لأننى أرفض أن ألقى الاضطراب فى نفسها بلا فائدة .

إدميه : هنا يكمن جوهر المسألة .

كلود : إننى أكرر هذه العبارة . . بلا فائدة .

إنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، ولا يستطيع إنسان أن يفعل له شيئاً . . إنه ضائع . . إنه شخص ضائع .

إدميه : لست أدرى لماذا تصرخ هكذا . . لقد طلبت منك أن تجيب بنعم أو لا . . . وأقرر أنه فى اليوم الذى يطلب منك فيه القيام بتضحية حقيقية . .

كلود : ليس هذا صحيحاً .

إدميه : لقد قلت تضحية حقيقية .

كلود : ليس ذلك لأنها تضحية .

إدميه : ستلتمس أسباباً . . وأسباباً وجيهة ، لكى تمتنع عن القيام بهذه التضحية .

المنظر السادس

الأشخاص أنفسهم — أسموند

أسموند : [تدخل بسرعة وقد أمسكت بيدها خطاباً] أبى . . . آمل أن يكون هذا الخطاب

قد أرسل على غير علم منك ؟

كلود : أى خطاب ؟

أسموند : [تناوله الخطاب] — اقرأ .

إدميه : هل أعطاك هذا الشخص خطابى ؟ إنه كامل . .

أسموند : [موجهة الكلام إلى أبيها] — ماذا تقول عن هذه التلميحات ؟

كلود : اسمعى يا عزيزتى . لو أننا وافقنا على أن أمك قد أسعنت قليلا فى حذرها . .

أسموند : ليس فى الموضوع أى حذر . . ما هذه الطريقة التى تريدان أن تحمياني بها وكأننى شيء من الأشياء ؟

كلود : وبعد ! ليس فى هذا ما يجرح الشعور . . فمن الطبيعى لمن فى مثل سنك ألا يلاحظ بعض الأخطار .

أسموند : أية أخطار ؟ إننى أطالب أخيراً بوضع النقط فوق الحروف .

كلود : إن والد هاتين الفتاتين الصغيرتين . .

أسموند : أتخافان أن يكون فى رؤيتى ما يسره ؟ حسن . . هذا أمر طبيعى . ولم يكتمه عنى . . وعلى كل حال فهو أرمل .

كلود : أسموند . إن زوجته ما زالت على قيد الحياة . .

أسموند : إنه أرمل . . ولو أنكما امعنتما فى دفعى إلى النهاية المحتومة . . .

إدميه : أهذا تهديد ؟

كلود : [بصوت منخفض إلى إدميه] — اتركينى لحظة معها .

أسموند : أبى . قل لها إنها ارتكبت فعلة سيئة .

إدميه : إننى لا أحبذ هذه المحادثات . . ولكن إذا كان هذا يسرك . .

أسموند : إن أمى على حق . . فلن يفيد ذلك شيئاً .

[يقترب كلود منها ويضع يده برفق على كتفها . تنظر إليه إدميه بابتسامة خبيثة . ثم تخرج] .

المنظر السابع

كلود ـ أسموند

كلود : عزيزتى . . إنك تقفين على منزلق خطر .

أسموند : هذه الكلمة أيضاً !

كلود : لقد فهمت اليوم معنى ترددك فى اليوم السابق .

أسموند : ثم ؟

كلود : هذا الرجل . .

أسموند : إنك لا تعرفه . ولا حق لك فى الكلام عنه .

كلود : مجرد أنه أعطاك ذلك الخطاب لقراءته . . .

أسموند : إننى أنا التى طلبت ذلك .

كلود : وما هى . إذن ، علاقتكما ؟

أسموند : إننى أعتقد أن جوانحه تنطوى على عاطفة قوية نحوى ، وأنا أيضاً أحبه كثيراً .

كلود : ولكنك لم تعودى طفلة . ولا يمكن أن

تتجاهلى أنه قد يكون فى عاطفته نحوك شىء من الشر . .

أسموند : أتقصد من الناحية الجسدية ؟ إننى لا أشك فى هذا لحظة واحدة . [صمت] .

كلود : ما زلت مقتنعاً أنك لو واجهت الواقع لفهمت . . إن هذا الموقف لا مخرج له .

أسموند : ربما لم يكن هذا يقينا مطلقاً .

كلود : أتفكرين فى وفاة زوجته ؟

أسموند : أوه ! هذه المرأة ، إنها ستدفننا جميعاً .

كلود : ثم . . [صمت] . وأخيراً ماذا تأملين؟ وعلى أى شىء تعتمدين ؟

أسموند : إننى لا آمل شيئاً ، ولا أعتمد على شىء ، كل ما فى الأمر أننى فى حاجة إلى النظر فى نفسى بوضوح .

كلود : أرأيت ، إنك لست متأكدة حتى مما تشعرين به . . ولحسن الحظ ، ياإلهى !

أسموند : ليس هذا ما قصدت على الإطلاق أن أقوله . . إن ما أسميه النظر إلى نفسى

بوضوح معناه أن أعرف ما هو الخير
وما هو الشر بالنسبة إلىّ [حركة من كلود]
إننى لا أوهم نفسى بشىء بالنسبة لطبيعة
مشاعره . . بل لو أنه لا يضمر لى غير
مجرد الصداقة المشوبة بالإجلال .
لا عتبرت نفسى سعيدة بذلك ، بالرغم
من أنه قد يصدمك هذا التصريح .
كلا . . وأعتقد أننى إذا ارتكبت عملا
من أعمال الطيش ، فإنه سيسر كثيراً
باستغلاله . . إن الرجال جميعاً سواء
[حركة من كلود] . وأنت يا أنى تفهم
جيداً أنك لا تستطيع الحكم على ذلك .
وهذا العمل الطائش ليس لى إلا أن
أتجنبه ، أو أن أفعله وأنا على بينة
من أمرى .

كلود : [يتحكم فى أعصابه بشدة] إنك تتحدثين
فى هذه اللحظة كطفلة . . أو أنك
بالأحرى تبحثين عن وسيلة لخداع

نفسك . والحق يا صغيرتى المسكينة أنك حائرة بصورة فظيعة .

أسموند : كلا ، على الإطلاق . وإنى أؤكد لك ذلك .

كلود : إن صوتك يرتجف ..

أسموند : فى اليوم الذى أتأكد أن هناك تحيزاً . .

كلود : بالضبط ، إن هذا اليوم لم يأت بعد .

أسموند : ما هذه المتعة التى تجدها فى إثارة القلق فى نفسى ؟ أوه ! إننى أعلم جيداً أن مهنتك هى ألا تترك الناس فى هدوئهم .

كلود : بل إن من واجبى أن أجعلك تواجهين نفسك . .

أسموند : ماذا تريد يا أبى . . إنها ليست أكثر من كلمات بالنسبة إلىّ .

كلود : إن واجبى هو أن أحذرك من ذلك النوع من الغرور . . أجل . . من الغرور ، الذى تشعرين به عندما تفكرين فى أن رجلا ما يضمر لك عاطفة مبهمة .

أسموند : ليس هذا من الغرور فى شىء . فلأول مرة . . وربما للمرة الوحيدة فى حياتى يفكر فىّ شخص دون أن يربطنى بصورة البيت المسيحى ، والعش الذى ترفرف عليه التقوى . ولكننى فى حاجة إلى أن أعيش بنفسى ، أما فكرة الوجود الذى ينزلق فوق قضبان : فإنها تفزعنى . ولست أدرى ما إذا كان هذا نوع من الدونية . . فى حياة رتيبة كحياتنا . إذا لم تتح لنا الفرصة للاعتقاد . .

كلود : أتتصورين . . أنها ليست سوى مسألة حظ ؟

أسموند : أجل . . إن الإرادة لاتجدى هنا شيئاً . . ولقد حاولت بما فيه الكفاية . .

كلود : [فى مرارة متزايدة] — إذن ، ينبغى أن نأخذ هذا الاستخفاف موضع الجد . أعنى هذا التليش الهادئ . . إنك توازنين بين الأسباب الدافعة والأسباب القابضة . .

ولا شيء يتحرك فى نفسك حين يخطر
لك أن توجهى الإهانات . .

أسموند : ربما لم يكن فى ذلك إهانة . .

كلود : إنك عندما تتحدثين عن حياتنا الرتيبة ...

أسموند : إن جميع التضحيات التى طلبت منى حتى الآن تبدو لى باعثة على الاستهزاء والمذلة . . ولم يتغير شيء . لم يتغير شيء على الإطلاق منذ أن كانوا يحثونني على أن أعطى لأطفال الدائرة الفقراء

أعز هدايا العيد على نفسى . . وكذلك الأفعال اليومية الطيبة التى يجب أن تسجل فى دفترى الجلدى الصغير . . إن هذا النوع من الأخلاق تتقزز منه نفسى . وإنى أوافق معك أننى أقف على حافة . . . هوة . .

كلود : لقد أفسدتك كتب الأدب الرخيص .

أسموند : الأدب ، يا أبى ، إنه هو عذاب الآخرين . . . ومن النعم العظيمة التى أغدقت عليك أنك لم تتعرض لبعض ألوان الإغراء .

كلود : [وكأنه يتحدث إلى نفسه] . . هـذا غير محتمل . .

أسموند : يبدو لى أن هذا التفوق نفسه . . يقتضيك نوعاً من الضريبة .

كلود : وأنت أيضاً . [ثم فجأة] والآن ، استمعى إلى : أنك تزعمين أن الحياة هنا يسيرة ومتشابهة أكثر من اللازم ،

وتشكين لأنك لا تجدين العمل الذى يسمو إليك . . حسن : ما دمت ترغمينى ، فسوف أنزع عن بصرك هذه الغشاوة . . أولا . . . نحن لسنا أسرة كغيرنا من الأسر . . .

أسموند : ماذا تريد أن تقول ؟

كلود : ليس من اليسير أن تصدرى حكمك على أى إنسان كان . أتفهمين ؟

أسموند : تبدو عليك التعاسة .

كلود : [مناجياً نفسه] . . إننى لا أستطيع احتمال ذلك . .

أسموند : أهناك أمر خطير فى حياتك لا أعرفه ؟

كلود : لقد أقسمت ألا تعرفى ذلك مطلقاً ، والآن ! . . ولو أننى بحت لك به لما كان ذلك عن طيب خاطر . [ينهض ويذرع الغرفة وهو فريسة لانفعال شديد] ما أشد ما تساء معاملتى ! ولشد ما يظلمنى غيرى ! .

أسموند : كيف أسأت معاملتك يا أبي ؟

كلود : أتمنى لو أن كل شيء قد انتهى بالنسبة إلىّ . .

أسموند : [فى مرارة] . . لما كان لا ينتهى شيء أبدا بالنسبة لأى إنسان [صمت] .

كلود : سينجلى الأمر عن أنى لم أخلف شيئاً ، عن أنى لم أحفظ أحداً من الضياع ، وإنى لأسأل نفسى لماذا عشت . . إنك الآن فى منتصف الطريق إلى الضياع .

أسموند : [مبتسما] — بل كلا . . .

كلود : بلى . . بلى ، لقد كنت فى هذه الساعة ترهصين بسقوطك . .

أسموند : فى مقدورك أن تمنع كل شيء . . أولا بأن تثق فىّ ، وأيا كان هذا السر ، فإنى أريد أن أشاطرك إياه .

كلود : إنك لا تدرين ما تطلبين .

أسموند : أنا أشجع مما تعتقد . .

كلود : وهذا معناه أنك لا تعرفين شيئاً عن

الحياة . . لا شيء على الإطلاق . . .
لا شيء . . . [بغتة] أسموند ، إنني
لست أباك [فترة صمت طويلة] .

أسموند : [مذهولة] — ما هذا الذى تقول ؟

كلود : لقد سمعت جيداً . . أننى لست أباك .

أسموند : أوه يا أبى . . هل أخمّن ؟ هذا الرجل
الذى كان هنا ذلك المساء ، وتظر إلىّ
تلك النظرة . .

كلود : أجل .

أسموند : [بكراهية] ، وهى . . أوه . . إننى . .

كلود : [بلطف] — صه !

أسموند : أبى [تنهمر الدموع من عينيها ، ويضمها كلود
إلى صدره] إن رأسى يدور .

كلود : إننى أطلب صفحك يا عزيزتى المسكينة . .

أسموند : كلا . . .

كلود : كان ينبغى لى ألا أبوح لك بهذا السر
على الإطلاق . .

أسموند : سينقضى كل هذا . . . وينبغى أن أعتاد عليه . .

كلود : يا لصغيرتى المسكينة !

أسموند : على شرط أن تشرح لى كل شىء . . فإن من حقى أن أعرف كل شىء .

كلود : يا عزيزتى . . . إنها قصة شنيعة ، ولا داعى لمعرفة التفاصيل ، ولا ينبغى أن تسألى . . أحداً . صدقينى . . إنها قسوة لا مبرر لها .

أسموند : وكنت أتخيل أن لى أسرة . .

كلود : يجب النظر إلى الأشياء نظرة سامية . . [تنظر إليه أسموند] . لقد كنت محبوبة حباً رقيقاً .

أسموند : محبوبة منك .

كلود : منا [حركة من أسموند] إن هذه الكارثة لم تجثم مطلقاً على حياتك .

أسموند : هل تعتقد ذلك ؟ أما أنا فإنى أدرك جيداً . .

كلود : وحتى الآن ، بعد أن كشفت لك عن هذا السر .

أسموند : [فى دهشة مستورة] — هل تريد أن تقول إنه لن يتغير أى شىء على الإطلاق ؟ . .

كلود : عزيزتى . . افهمينى . . إننى لا أطلب المحال ، ولكن من حقى أن أطلب منك ...

أسموند : ماذا ؟

كلود : أن تمتنعى عن إصدار أحكام معينة .

أسموند : ولكن ، أنصت إلى ، إننا لا نتحكم فى أفكارنا .

كلود : إلى حد ما . . ولكن ، تروى . . فسيكون ذلك باعثاً على النفور .

أسموند : وبعد . . فهذا شىء غريب جداً . . . ولكنه يبدو فى نهاية الأمر وكأنه لم يكن كشفاً . . . قلت لى إنه لا ينبغى الحكم

على أمى ، ولكننى أشعر أننى كنت أحكم عليها دائماً . . فضائلها ، وعطفها . . وإحسانها ، وتقشفها ، كل ذلك لم يخدعنى قط . . وكأنى قد فطنت إلى أن هذا كله . . لم يكن هى . . ولكنها تصبح هى ذاتها عندما ترميك بالخطأ . . أو . .

كلود : إنك تسببين لى ألماً عنيفاً . . ولا أستطيع أن أحتمل منك الحديث عن والدتك على هذا النحو .

أسموند : إذن . . لا بد من الاستمرار فى النفاق .. حتى ولو لم يوجد غيرنا نحن الاثنين !

كلود : يجب أن تحترمى ألمك .

أسموند : أتحب أن أقول لك الحقيقة ؟ إنى أشعر كما لو كان قد انزاح عن صدرى عبء ثقيل .. أما قبل ذلك ، فلم أكن أجرؤ على الاعتراف لنفسى بأننى . .

كلود : بأنك ماذا ؟ . .

أسموند : أما الآن فإنى أجرؤ على . . [صمت] . . كل ما فى الأمر . . أوه . ! . يا أبتى ! لو كشف كل شىء منذ زمن بعيد ، أو لو حـــدثت فضيحة ، وأرغمت على الرحيل . . وأبقيتنى أنا معك ، كان من الممكن أن يحدث هذا كله على كل حال ... وحينئذ كنا نعيش نحن الاثنين فى أسعد حال . .

كلود : أسموند !

أسموند : كان كل شىء يسير وكأنها ماتت . . لا أكثر ولا أقل . . إن موت فرد فى الأسرة لا يعتبر مصيبة فى كل حال . . ما أكرمك ! وكان يجب أن تحدثنى عنها ، وإلا لربما اعتقدت أنها شخص يستحق الندم عليه .

كلود : ولكن هذا الذى تقولينه فظيع !

أسموند : والآن ، من الحق أنك كنت كريماً إلى أقصى حد . . ولم ترد أن تفصلنى عنها ،

يا إلهى ! كما لو كنت . . أو لعلك استبقيتها ، معتقداً دائماً أن فى وسعنا إنقاذ الناس رغم أنوفهم . . أجل . . من يدرى ما كان قد يحدث لو أنك لم تغفر لها ؟ إننا نستطيع أن نسأل أنفسنا دائماً . . ولحسن الحظ أن ذلك لم يحدث ، أليس كذلك ؟ إن الأمور لم تسر على هذا النحو ؟

كلود : [بجهود] – كلا . . لم تجر الأمور على هذا النحو .

أسموند : هذا خير . وإذ كان على أن أفكر فى أنك قد مثلت هذه المهزلة خلال عشرين سنة . . فإن هذا من شأنه أن يفسد على حنانك . أبى ! لقد آلمتك منذ لحظة ، وكان يبدو على أنى لا أفكر إلا فى نفسى . . ولكن فلتعلم أننى أحبك حباً جماً ، وأنت تعلم ، والآن وقد قام هذا السر بيننا . .

كلود : كلا . . كلا . . لقد كنت مخطئاً . .

إنك لست غير طفلة ومن شأن الأطفال
ألا يرحموا . . . [فى حماس باتس] :
صغيرتى أسموند . . يجب أن تقسمى لى
على أن هذه الأفكار الفظيعة لن تعود
مطلقاً . . .

أسموند : أية أفكار ؟

كلود : إذا كان لا بد من أن أفقدك على هذا
النحو . . لماذا تبتسمين ؟

أسموند : تبدو كما لو كنت تريد استغلال
الموقف . . ولكننى أفهم موقفك . .
إنك محطم تماماً . . مريض . . وحين
أفكر فى أنك كنت منذ اثنتى عشرة
سنة أو خمس عشرة سنة ، لا تعرف . .

كلود : [فى صوت منخفض جداً ، كما لو كان يعتريه
الخجل] كلا . . لم أكن أعرف . .

أسموند : يا أبى المسكين الحبيب [تقبله] . .

المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم — مدام ليموان

مدام ليموان : [متأثرة] — آه . . هذا لطيف . .
صباح الخير يا حبيبتى . . قل لى . .
ياكلود . . إننى مسرورة كل السرور
لما أنبأنى به فرانسيس .

أسموند : وبماذا أنبأك يا جدتى ؟

مدام ليموان : ألفيت أباك شاحب الوجه ، فطلبت من
عملك فرانسيس أن يمر لرؤيته . . ويبدو
لحسن الحظ ، أن الأمر غير خطير
[إلى كلود] . يلوح كأن عينيك
حمراوتان ؟

أسموند : إنها ذرة من الغبار .

مدام ليموان : لا تدعكها أبداً . . فإن ذلك يزيدها
التهاباً [إلى أسموند] يا صغيرتى العزيزة . .
إن أمك تبلغك بأنها فى أشد الحاجة

إليك . . وأعتقد أن الأمر يتعلق بقائمة مشتريات عيد الميلاد .

أسموند : إن أمى ليست فى حاجة إلى نصائحى . . وأوكد لك أن كل شىء سيتم سريعاً . . إلى اللقاء العاجل ، يا جدتى . . . . تخرج .

المنظر التاسع

كلود — مدام ليموان

مدام ليموان : خمّن . . ماذا قالت لى مدام هورسو منذ لحظة .

كلود : وكيف تريدين أن أعرف ؟

مدام ليموان : إنهم ينوون تعيينك فى أبرشية كبيرة على الضفة اليمنى . . فى شايو .

كلود : تعلمين أننى لا أريد أن أسمع شيئاً عن ذلك .

مدام ليموان : ويبدو أن الاقتراح سيعرض عليك بشروط مرضية جداً . . .

كلود : ليس من عادتى أن أرضخ لأى ضغط . واليوم الذى أغادر فيه شارع الليزيا . . .

مدام ليموان : ماذا ؟

كلود : لن يكون ذلك لكى أذهب إلى شارع « مارسو » .

مدام ليموان : يا طفلى العزيز . . ليس لى أن أقدم إليك أية نصيحة . ولكننى لا أفهم لماذا لا تريد أن يكون لك مستمعون أجدر بك .

كلود : ليست المسألة مسألة مستمعين .

مدام ليموان : لست وحدى التى أرى أنك بفصاحتك . .

كلود : إننى لست محاضراً . . .

مدام ليموان : كان أبوك رحمه الله يقول دائماً . « إن مكاننا يكون حيث نستطيع أن نؤدى أكبر قدر من الخدمات .

كلود : موافق .

مدام ليموان : كانت مدام هورسو تردد منذ لحظة أن كثيراً من الناس الذين يسعدهم سماعك يخشون بعد المسافة .

كلود : هناك الترام . . والمترو على بعد خمس دقائق . . .

مدام ليموان : أشخاص تستطيع أن تفيدهم . . مثقفون . [حركة من كلود] . . ولست أنا التى أشرح لك كيف أن الحياة فى باريس تستغرق الناس .

كلود : إن وقت هؤلاء الناس ثمين جداً [فجأة] ثم هناك خبر قد أعلنه إليك قريباً . . خبر حقيقى .

مدام ليموان : [فى انفعال] استعود إلى الاشتغال برسالتك عن ميلانشتون . . كلود ، يا لها من سعادة !

كلود : إن الأمر لا يتعلق بذلك .

مدام ليموان : وا أسفاه !

كلود : إنه يتعلق بمنصبى الدينى . فلما كنت ، للأسف ، أقل منك ثقة بمواهبى الكهنوتية ، أو حتى . . [يتوقف] .

مدام ليموان : ماذا تقول ؟

كلود : [وكأنه يحدث نفسه] — لقد ضقت ذرعا ، لقد ضقت ذرعا .

مدام ليموان : أخشى حقاً ألا يكون فرانسيس قد فحصك جيداً .

كلود : إذن كان الأمر يهون . . ومع ذلك . . فأنت على صواب . . إننى مريض . . مريض إلى درجة الموت .

مدام ليموان : يا إلهى !

كلود : اطمئنى . . ليس فىّ مريض غير ضميرى .

مدام ليموان : لقد أفزعتنى .فزعاً . . يا كلود . . أنا التى تحتبس أنفاسى لأقل شىء !

كلود : إذا كنت انفجر حزناً واشمئزازاً من نفسى ، فماذا يفيدنى أن أكون جيد الهضم . . هأنذا ، منذ لحظة قصيرة ، قد ارتكبت الكذب أتسمعيننى ؟

مدام ليموان : إننى على يقين من أنها مجرد طريقة فى الحديث .

كلود : إنها لكذلك . . اسكبى لى ذلك الشراب الدافئ . التافه . وكأننى عدت إلى العاشرة من عمرى . . أواه يا أمى . . إننى حاقد عليك أنت أيضاً .

مدام ليموان : حاقد علىّ ؟

كلود : لولاك لكان لى الحق فى أن أكون شخصاً عادياً ، ولدخلت مكتباً من المكاتب .

مدام ليموان : كلود ! !

كلود : وما أغزر الدموع التى كنت ستسكبينها لو خطرت ببالك فكرة أن لك ابناً يعمل فى مكتب . . كما لو لم يكن ذلك . على الأرجح . هو كل ما ينبغى لى . أوه . . تلك القائمة . يا لقدمتك ! . . قائمة المهن ذات الأرقام : أولا أن أكون قساً كأبى . . كأبى الطبيب ، وكوالد أبى الطبيب . ثانياً : أن أكون أستاذاً لأن الأستاذ يشكل النفوس . ولو عاش أرنست لأصبح أستاذاً . ثالثاً : أن أكون صبياً لأن الطبيب هو الآخر ، يخدم الإنسانية . . . هذه هى السخافات الورعة التى جعلت منى ذلك الفاشل الذى هو أنا .

مدام ليموان : أنت ، فاشل !

كلود : عندما استرجع الجو الذى ترعرعت فيه !
كان اختصاص « فرانسيس » هو امتيازه
فى الإنسان ، وكان اختصاصى أنا فى
الحنبلية الأخلاقية . . آه ! يا أماه من
ذلك الزهو الذى كان يلمع فى عينيك
عندما كنت أعرض بضاعتى الصغيرة ،
وعندما يقول الناس « إن فرانسيس هو
الذكاء ، أما كلود ، فشىء أفضل من
ذلك ، إنه الضمير » . ومن يدرى فربما
كنت أخترع تلك الضروب من الحنبلية
لكى أبعث السرور إلى نفسك ؟ هذا . .
هذا هو ما نسميه تشكيل الروح لخدمة
الله . . . ثم التحقت بعد ذلك بكلية
اللاهوت ، وإنى لأذكر أن ضروباً من
القلق قد ساورتنى ، وأفضيت بها إلى
والدى . . وفى هذه المرة تغيرت اللوحة .
فقد استمعت إليكما من فراشى وأنتما

تتحدثان طيلة الليل ، وفى صباح اليوم التالى ، كانت عيناك حمراوتين أثناء تناول الفطور ، وكنت تنظرين إلى وكأنى قضيت الليل خارج المنزل . وعلى هذا النحو كنت تغرسين فى نفسى حب الإخلاص . كلا ، ليست الغبطة غلطتى وحدى . إذا كنت قد أفلست ، هذه الكلمة تدهشك . ولكنها الحقيقة الخالصة . . لقد عشت بأموال لست أملكها . . وإنما كانت دائماً ديناً على . . والآن . .

مدام ليموان : لن أرد على اتهاماتك . . فهى طالمة إلى أقصى حد وإنى لأعلم أنك لا تفكر فيما تقول . . ولكننى لا أريد أن تعذب نفسك على هذا النحو ، إننى فخورة بك . . أتسمعنى ؟ . واعلم أنك قد بذرت بذور الخير بملء قبضتك .

كلود : لا ينبغى التفوه بهذه العبارات ، فليس فى مقدورى أن أسمعها بعد الآن .

مدام ليموان : لقد عشت حياة مسيحى عظيم .

كلود : كان ينبغى أن أحيا أولا حياة إنسان . فأنا لست إنساناً . ولم أعرف كيف أحب كإنسان . . وكيف أكره كإنسان .

مدام ليموان : تكره ؟

كلود : أجل . . أجل . . أكره أيضاً . . إننى لست شيئاً . إننى لست شيئاً .

[يتداعى فوق مقعد

المنظر العاشر

الأشخاص أنفسهم — إدميه

إدميه : [التى وارت الباب] — ماذا حدث ؟

مدام ليموان : إنه مريض تماماً ، ولا بد من استشارة طبيب . ولتسمحى لى أن أصحبه إلى لوزان ، فلدينا هناك إخصائيون بارعون.

إدميه : جداً . . إخصائيون فى أى شىء ؟

مدام ليموان : فى كل شىء . . فى كل شىء . .

كلود : [فى غلظة] — علام تتآمران أنتما الاثنتين؟
أه ! أجل . . تستطيعان النظر إلىّ . .
فأنا من صنع أيديكما .

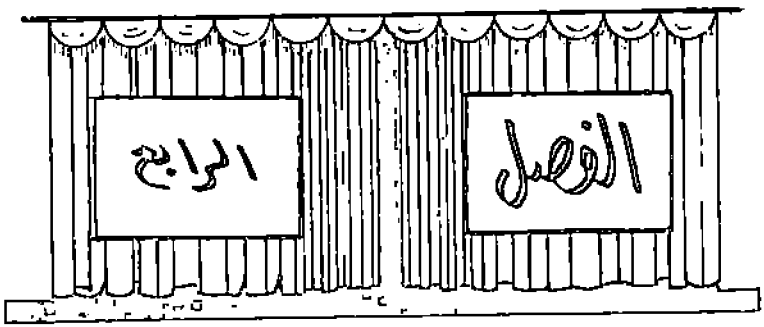

الديكور نفسه – المستخدم فى الفصل الأول

المنظر الأول

أسموند – إدميه – ثم فيليسى

[أسموند حالسة تطالع ، وتلقى من حين إلى آخر نظرة على والدتها الجالسة هى أيضاً بملابس الخروج ، وقد بدا عليها الشرود ، فلم تخلع قبعتها . . !]

أسموند : هل تنوين الخروج مرة أخرى .

إدميه : كلا .

أسموند : فلماذا لم تخلعى قبعتك ؟ [إدميه تنزع

فعلها على مهل . فترة صمت] : . أتنوين الاحتفاظ بها طويلا فوق ركبتيك ؟ [طرقات على الباب] ادخلي . . ماذا تريدين يا فيليسي ؟

فيليسي : [تدخل] — لم توصي السيدة بشيء للعشاء . .

إدميه : افعلي ما تشائين .

فيليتى : أوه . . ولكننى لا أعلم شيئاً ، وعلى سيدتى أن تقول . . .

إدميه : حسن . . عشاء الأمس نفسه . .

فيليتى : وماذا أفعل بالساكن الجديد الذى أنبأنى هذا الصباح بأنه لا يحتمل السباخ ؟

أسيوخيد : ألا يقولى « الساكن » يا فيليتى . . أن تتلقى الملاحظات من هذا إن لم يكن راضياً ، فعليه أن ربة المنزل . هل فهمت ؟

فيليتى : أجبت به . ولكنه قال إنه يخشى المنزل . . وما أدرانى ؟

أسيوخيد : يا فيليتى .

فيليتى : . . سأفعل ما أمرت به السيدة ، عشاء الأمس نفسه . ولا ينبغى أن يشكو أحد من أن العشاء هو نفسه دائماً .

[تخرج] . .

المنظر الثانى

إدميه — أسموند

أسموند : [دون أن ترفع رأسها ، وبعد فترة من الصمت] — هل مات ؟

إدميه : ماذا تقولين ؟

أسموند : إننى أسأل عما إذا [illegible]

إدميه : عمن تتحدثين ؟

أسموند : عنه طبعاً . . ذلك [illegible] أنى ذات يوم .

إدميه : أسموند !

أسموند : لست أدرى ، كما ترين ، أننى لم أتعود على أن أراك حزينة إلى هذا الحد . .

إدميه : إذن ، لقد أنبأك والدك . . .

أسموند : على ما أعتقد . .

إدميه : فلماذا لم يقل لى إنه قد تحدث إليك ؟ متى فعل ذلك ؟

أسموند : منذ يومين .

إدميه : وأنت ، لم تفكرى حتى فى أن . .

أسموند : لست أعرف ماذا يقال فى مثل هـــذه الحالة . وأظن أن هناك شكليات معينة ، وهذه الشكليات لم تعلمينى إياها .

إدميه : أنت بلا قلب .

أسموند : ليس هذا شيئاً جديداً .

إدميه : إننى على يقين من أن والدك ، بكرمه المعهود . .

أسموند : لقد اقتصر على الإفضاء إلىّ بواقعة لا تحتاج إلى تعليق . .

إدميه : اطو هذا الكتاب ، من فضلك .

أسموند : إذا كان هذا يسرك . . [تطوى كتابها وتلتفت إلى والدتها وتنظر إليها ، وقد أسندت مرفقها على المائدة .]

إدميه : لن أدخل فى التفاصيل .

أسموند : ألفت نظرك أولا إلى أنى لم أسألك عن شىء . .

إدميه : ولكن ما تستطيعين أن تحدثى به نفسك هو أن ثلاثة مخلوقات قد تعذبوا إلى حد الموت . كل منهم على أيدى الآخرين دون أن يكون لأحد منهم أى ذنب فى ذلك . . . والأمر لم ينته بعد . . هل تسمعين ما أقول ؟

أسموند : طبعاً . ولكننى لا أفهم ماذا يعنينى من هذا كله .

إدميه : إن شخصاً فى مثل شبابك . . شخصاً تتفتح الحياة أمامه . . .

أسموند : أوه !

إدميه : . . ينبغى أن يشعر بالرغبة فى أن يحمل شيئاً من العزاء . . . لهؤلاء التعساء .

أسموند : لست أفهم ما تقصدين .

إدميه : هذا الشخص الذى تحدثت عنه . . .

أسموند : ذلك السيد الذى أتى ذات يوم ؟

إدميه : إن أيام حياته أصبحت معدودة .

أسموند : [فى برود] — هذا شىء محزن .

إدميه : ولكنك فى نهاية الأمر تعلمين من يكون . إنه . . .

أسموند : ثم ماذا ؟

إدميه : لا توجد بجانبه غير ممرضة مأجورة . .

[تهتز كتفاها من الكبيق المتشنج] .

أسموند : اسمعى يا أماه . . . أذكرك بأن « جونو » الصغير قد يدخل بين لحظة أو أخرى . . فإذا رآك بهذه الحيثة . . .

إدميه : وماذا يعنينى من ذلك ؟

أسموند : أه ! كنت أعتقد أنه من الواجب على أية حال أن يتمالك المرء نفسه .

إدميه : فى مثل سنك ، لا يستطيع المرء أن يتخيل ما يمكن أن يكون عليه هذا النوع المعين من العزلة . وعندما لا يعود المرء شاباً ، وعندما يصبح مريضاً ، ولا يستطيع أن يجد فى ماضيه كله ذكرى سعيدة واحدة يمكنه استرجاعها . . .

أسموند : أه ! ألا يملك هذا السيد ذكريات لطيفة ؟

إدميه : لو أنك ذهبت إليه من حين لآخر ،
لكان فى ذلك خير كثير له . . أما أنا ،
فلست أملك من أمره شيئاً ، بل إنه
يقول أحياناً إننى أسىء إليه .

[إدميه تجد مشقة فى تمالك نفسها . طرقات
على الباب] .

أسموند : ما هذا ؟

المنظر الثالث

الأشخاص أنفسهم — فرد

فرد : أرجو المعذرة يا آنسة . . لم أكن أريد
إزعاجك . . فليس لذلك أية أهمية ، .
وإنما جئت فقط لأقول . . لست أدرى
إن كنت تعلمين أننى كنت قد أُصِبْت فى
طفولتى بالتهاب الأمعاء الدقيقة .

أسموند : كلا . . لم نكن نعلم .

فرد : أجل ، بالطبع . وقد بقى من ذلك
عندى . . وهناك خضر معينة لا أستطيع

أن . . وعندما مررت أمام المطبخ . . ظننت أنى أشم . . .

أسموند : حسن . سنعد لك بيضة .

فرد : شكراً يا آنسة . وأرجو ألا يكون فى ذلك أية مضايقة . . أرجو المعذرة . ولكن والدتى هى التى أوصتنى . . وفضلا عن ذلك . فإن أسرتنا جميعاً ذات أمعاء مرهفة .

أسموند : أجل . . أجـل . . إلى اللقاء

[يخرج فرد] .

المنظر الرابع

إدميه — أسموند

أسموند : والآن . أعترف لك بأننى فى غاية الدهشة مما تطالبـنى فى . وعلى فرض أننى استطعت أن أوفر من وقتى ساعة من هنا أو ساعة من هناك لكى أذهب إلى هذا السيد لأطالع له فى كتاب ، فلست

أفهم جيداً ما هى الموضوعات التى يمكن أن يدور حولها حديثنا : . ولن أفعل سوى أن أبعث فى نفســه من جديد ذكريات مؤلمة . . ولما لم يكن هناك غير هذه الذكريات . .

إدميه : هذه النغمة من السخرية فظيعة . . أنت مسخ من المسوخ .

أسموند : لم تتركينى أكمل جملتى . ومن الأوليات أن أسأل أبى عما يراه بالنسبة لهذه الزيارات .

إدميه : إن أباك هو العطف نفسه .

أسموند : ولكنه تصدع إلى أقصى حد .

إدميه : ماذا تريدين أن تقولى ؟

أسموند : إننا لا نقع على مثل هذا الكشف بلا مقابل .

إدميه : أى كشف ؟ ماذا تتصورين فى نهاية الأمر ؟ لقد وطن نفسه على هذا الأمر منذ تسعة عشر عاماً .

أسموند : أه ؟ [صمت] .

المنظر الخامس

الأشخاص أنفسهم — فرد

فرد : [مواربا الباب] — يا آنسة . لا أريد إلا أن أقول إذا تعطفتم بإعداد بيضة لى . فمن الأفضل ألا تكون ناقصة النضج إذ أعتقد أننى لاحظت أنه فى باريس . . . ولكن ، من الطبيعى أن المسألة رهن مشيئتكم [مكتشفاً اسمه] : أوه ! . هل مدام ليموان مريضة ؟ إننى آسف أشد الأسف .

أسموند : إن والدتى تعانى ألماً قوياً فى الأعصاب . . أماه ! يبدو أنه ينبغى لك أن تذهبى للرقاد لحظة . .

فرد : إذا كان لى أن أتجاسر فأبدى رأيا ، فربما استطاعت « برشامة » أن تهدئ من آلام

والدتك . . وأنا أملك صيدلية صغيرة للرحلات مجهزة تجهيزاً لا بأس به .

إدميه : شكراً يا سيدى . هـذا من لطفك . [تخرج] .

المنظر السادس

فرد ، أسموند

فرد : أخشى أن أكون أنا الذى دفعت مدام ليموان إلى الانصراف . لا بد أننى أبدو فى نظرك مضحكاً بسبانغى وبيضى غير الناضج وأنا على يقين من أنك ستعتقدين أننى لا أهتم إلا بالأكل . . وإنما الأمر على خلاف ذلك تماماً . ويمكن أن تقول لك أمى إننى لا أعرف مطلقاً ما آكله . . وهذا حق ، فأنا لا أطلب مطلقاً شيئاً معيناً ، وهم يعتبروننى جميعاً فى المنزل شخصاً مثقفاً .

أسموند : هذا واضح .

فرد : ولو كنت أعلق أهمية على تلك الأشياء ؛ لما أتيت للإقامة هنا عند والديك . ذلك أن أناساً ممتازين مثلهما لا يهتمون كثيراً بما يأكلون . وقد حرصت على أن أشرح لك ذلك لأنني سأحزن غاية الحزن لو استقر فى نفسك عنى هذا الانطباع . ذلك أن الانطباع الأول على أكبر جانب من الأهمية . نعم . إن هذه ليست هى المرة الأولى التى تجمعنا فيها الظروف ؛ لا شك أنك تذكرين ذلك الصيف الذى أمضيته فى إيفيلار ، فى بنسيون « سولدانيل » لقد كنت حينئذ فى فندق « سيكلامين Cyclamen » مع أبناء عمى من آل دى لوكل . . إن لك ضربة مضرب مذهلة . وقد لعبنا مرة على انفراد . إذا كنت تذكرين ذلك . . ثم

أقيم احتفال فى البنسيون . وقد غنّيت أغنية صغيرة . . أنيقة . . إن الموسيقى تؤثر فى نفسى تأثيراً شديداً ! وما زال اللحن باقياً فى ذاكرتى . وإذا كان لديك بيانو ، فإنى أستطيع أن أعزفه لك .

أسموند : إنك تتمتع بذاكرة ممتازة ، ولا بد أنها تساعدك كثيراً فى دراساتك .

ألفرد : بما فيه الكفاية . . ولكن هناك أشياء غير يسيرة . . فاليوم يرى المرء نفسه مطالباً بالتضلع فى الفلسفة وفى طائفة من الخزعبلات . . وهذا لا يؤدى إلى شىء . . ولست أدرى إن كنت مثلى ، ولكننى أرى أن ذلك لا ينبغى أن يكون ضرورياً . . أما الذى ينبغى حتماً ، فهو أن يكون لدينا الإيمان . وليس لى أن أشكو من هذه الناحية ، إذ فى وسعى أن أقول إن لدى إيماناً عظيماً ، عظيماً جداً .

أسموند : لك تهنئتى .

فرد : أوه ! لا داعى للتهنئة ، فهذه هى طبيعتى .

المنظر السابع

الأشخاص أنفسهم ، كلود

كلود : [مخاطباً فرد] — صباح الخير يا فرد .

فرد : [تتصاعد حمرة الخجل إلى وجنتيه] — صباح الخير يا سيدى ، أعتذر عن إزعاجى لكم ، فقد أتيت لأستعلم عن شىء من الآنسة أسموند .

كلود : لا ضير عليك [يخرج فرد] .

أسموند : كان من المحتمل أن أسعد بالوقوع على نمرة من هذا الطراز ، إذا كان . . أرجو المعذرة يا أبى ؟

[تجلس إلى المكتب ، وتأخذ فى الكتابة] .

كلود : إلى من تكتبين ؟

أسموند : سأقول لك بعد لحظة [تغلق الخطاب ، وتتجه نحو الباب .] فيليسى !

فيليسى : [من وراء الكواليس] . . نعم يا آنسة . .

أسموند : احمل هذا الخطاب فوراً إلى السيد ميجال .

فيليسى : [تدخل وتتناول الخطاب] — سمعاً وطاعة يا آنسة [تخرج] .

كلود : ما معنى هذا ؟

أسموند : الآن . . قل لى يا أبى ، لقد اكتشفت لتوى . . . لماذا تركتنى أعتقد أنك لم تعلم الحقيقة إلا الآن ؟ أنا لا أفهم جيداً ، وأعترف أن ذلك لم يكن أمراً مقبولا من جانبك ؛ فأنا التى كنت أرجو أن يسود بيننا مزيد من الثقة من الآن فصاعداً . .

كلود : [بصوت منخفض دون أن ينظر إليها] لقد كذبت عليك بدافع من الجبن . ؟

أسموند : كيف ؟

كلود : خـــوفاً من أن توجهى إلىّ بعض التعليقات . .

أسموند : أية تعليقات ؟ [صمت . . تحاول أسموند أن تستشف ما يدور بنفسه] . .

كلود : [بصوت منخفض جداً] — تعليقات مهينة بالنسبة إلىّ . .

أسموند : فهمت . .

كلود : أين والدتك ؟

أسموند : إنها راقدة فى فراشها .

كلود : أهى مريضة ؟ [حركة تهرب من أسموند] ماذا بها ؟

أسموند : يبدو لى أن بها شيئاً من اليأس .

كلود : هل تحدثت إليها عن هذا الموضوع ؟

أسموند : بضع كلمات . .

كلود : [فى صرامة] — ومع ذلك فقد منعتك من أن تفعلى .

أسيموند : إنها هى التى فتحت لى موضوع ذلك السيد . . فقد طلبت منى أن أذهب لمؤانسته من حين لآخر .

كلود : [بعنف] — لن تذهبى .

أسموند : ليس فى نيتى أن أذهب .

كلود : إننى أمنعك من ذلك . . وهذا كل ما فى الأمر .

أسموند : تستطيع أن توفر على نفسك هـذا التعب . .

كلود : وإذا تصادف أن سمح لنفسه بالعودة إلى . . ؟ .

أسموند . هذا أمر بعيد الاحتمال . .

كلود : لم يعد ينقصنى إلا هذا ، أن تذهبى إليه دون إذنى .

أسموند : ولكننى ، لست أدرى يا أبى ماذا حدث لك . .

كلود : بعد كل ما حدث ، تستطعين أن تعتقدى ، لست أدرى ، أنا . . ولكن ، لقد انتهى كل شىء ، إنى أضمن لك ذلك .

أسموند : ما هذا الذى انتهى ؟ . .

كلود : حسبى ما تلقيته من إهانات . . آه ! . لو استطعت أن أوذى أحداً .

أسموند : لا تستطيع ذلك .

كلود : أوه ! بلى ، الآن أستطيع . . لو أقذف بشخص ما إلى الخارج وأنهال عليه ضرباً . .

أسموند : لن يجلب لك ذلك أى سرور .

كلود : [بصوت منذر] — إليك ما وصلت إليه . . إنى كما لو كنت قد شربت خمراً . . أه ! هذا مخيف . . منذ يومين كل المشاعر التى لم تعتمل فى نفسى من قبل ، وكل الكلمات التى لم يسبق لى التفوه بها مطلقاً . . آه ، لو سمعت منذ لحظة تلك العبارات التى نطقت بها بصوت يكاد يكون مرتفعاً . . أخبرينى بأن هذا كله سيزول . . ولكن كلا ، لست على ثقة حتى من أننى أود أن يزول هذا كله . .

أسموند : لقد خرجت عن طورك ، هذا واضح . ولكن هذه نوبة لن تدوم .

كلود : أجل . .

أسموند : ومع ذلك ثمة لحظات تكون فيها هادئاً تمام الهدوء . ولا تعاودك هذه النوبة إلا عندما تكون وحيداً . . .

كلود : إنها أشبه بفقاعات تصعد لا أدرى من أين . .

أسموند : أرأيت ؟ لقد عدت إلى الهدوء التام مرة أخرى . .

كلود : إنك تتحدثين إلىّ ، كما تتحدثين إلى مريض . .

فيليسى : [من الخارج] — السيد ميجال يسأل إن كان يستطيع أن يتحدث إلى الآنسة .

كلود : كيف ؟

أسموند : أدخلى السيد ميجال .

كلود : أهى أنت التى طلبت إليه الحضور ؟

أسموند : أجل . .

المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم — ميجال

ميجال : [منحنياً] — سيدى ، آنستى . .

أسموند : إننى سعيدة لحضور والدى هذا الحديث. قلت لى إنك تبحث عن شخص يستطيع أن يعتنى بإيفون وسوزان من جميع الوجوه . حسن ، إننى أعرض عليك رغبتى فى تكريس نفسى لهما . . .

ميجال يا آنسة . . إننى متأثر من اقتراحك إلى حد يعجزنى عن التعليق عليه . . ولكن هذا محال . . أولا لأن وقتك لا يتسع لذلك . .

كلود : لست أفهم كيف تزعجين السيد ميجال من أجل سخافة كهذه . .

أسموند : إن وقته كله خال . وأنا فى حاجة إلى عمل يستغرقنى استغراقاً تاماً . . .

وأعظم خدمة تستطيع تقديمها إلى هى
أن تقبل الاقتراح الذى أعرضه عليك .

ميجال : ولكن ، لست أدرى يا آنسة إن كنت
قد وضعت فى اعتبارك أننى أستعد لمغادرة
باريس لعدة أشهر . .

أسموند : سبق أن قلت لى ذلك .

ميجال : ووالداك . . .

كاود : سيدى ، أكون لك شاكراً لو فهمت
أن هذا فى الواقع ، أمر مستحيل كل
الاستحالة . ولست أتصور كيف أمكن
أن تخطر مثل هذه الفكرة على بال
ابنتى . . .

أسموند : [مخاطبة ميجال] — فكر بإمعان . .

ميجال : يا آنسة ، أعتقد . . . أنه ليس من
حقى أن أوافق .

أسموند : ولماذا ، ليس من حقك ؟

ميجال : لأن هذا معناه سوء استغلال العاطفة

التى أبديتها نحو ابنتى . . وأعتقد أننى بذلك أرتكب فعلا سيئاً .

أسموند : تجاه والدى ؟

ميجال : [مرتبكاً ارتباكاً شديداً] — لا بالنسبة لوالديك فحسب . . .

كلود : [باسطاً له راحته] — سيدى . أنت رجل مهذب . ولكنك ترى مثلى أنه لا داعى لإطالة هذا الحديث . وحين انتهى إقناع ابنتى بما لحججى من قيمة . . .

أسموند : أعرف هذه الحجج .

كلود : تستطيع أن ترى أن ابنتى ليست هذه اللحظة فى حالتها الطبيعية .

ميجال : [مخاطباً كلود] — لا أستطيع أن أقول لك إلى أى حد كنت أريد قبول هذا العرض الكريم . . إن شعورى أكثر من أن يكون مجرد أسف [يحتبس صوته] إن قلبى يتمزق . . إنى . . .

أسموند : [إلى كلود] — إن الأمر فى غاية

البساطة . . إذا لم تترك لى حرية التصرف وفقاً لإرادتى ، فسأذهب للإقامة بجانب المريض الذى تحادثنا عنه منذ لحظة ، ولن أغادره قبل النهاية . [إلى ميجال] إنى أتكلم عن قريب لنا سأكرس له وقتى إذا رفضت اقتراحى .

كلود : [مخاطباً ميجال] — سيدى ، أتوسل إليك أن تتركنى معها . ما من أحد يستطيع أن يعرف ما أعانيه من عذاب .

أسموند : [إلى ميجال] — إلى لقاء قريب .

ميجال : [مخاطباً كلود فى شىء من الشفقة] — سيدى . . من أعماق قلبى ، أقدم إليك . . . . [يصافحه ويخرج] .

المنظر التاسع

كلود ، أسموند

أسموند : عليك أن تختار .

كلود : ليس هناك محل للاختيار . ستبقين هنا . .

أسموند : لن أبقى هنا على أية حال .

كلود : احترسى ؟ .

أسموند : لا فائدة من كل ذلك : إنك تهدد . . .

كلود : ولكن من تكونين إذن ؟

أسموند : إننى لست ابنتك . هيا ، ولتذكر أننا لا نكسب شيئاً على الإطلاق عندما نستبق الناس رغم أنوفهم .

كلود : إذا كنت تتحدثين عن أملك ، فقد توسلت إلى ذات يوم ألا أطردها .

أسموند : فعلام تندم إذن ؟

كلود : وفى اليوم التالى تضرعت إلى أن أرد لها حريتها .

أسموند : [تهز كتفيها فى حركة خفيفة تدل على الاحتقار] أما أنا فأعرف تماماً ماذا أريد .

كلود : لن أدعك تلقين بنفسك بين ذراعى ذلك الرجل .

أسموند : لا تستطيع أن تمنع شيئاً .

كلود : ستصحبك جدتك إلى سويسرا .

أسموند : فلنستعرض الأمر بشيء من المنطق .

كلود : إن أمك لم يكن لها هذا النوع من البرود البشع .

أسموند : لسوء حظها . وربما لسوء حظ الناس جميعاً في هذا المكان . فهذا شاب قوى ، مقيد بالأغلال إلى مجنونة . . إنه يحبني . وأنا أيضاً أحبه ، ولا يحول بيني وبينه غير تقاليد اجتماعي ، أكذوبة لا تخدع أحداً . وإذا كنت أتهرب من نفسي بمحض الجبن ، فليس من العسير أن يحمن المرء ضروب العزاء المنحطة التي سوف ينحدر إليها .

كلود : إنك لا تخدعين نفسك فيما سيكون . . .

أسموند : على الإطلاق . وإذا استطعت إنقاذه ١ من هذا العار . . .

كلود : إنك لست سوى طفلة منحرفة .

أسموند : أرى أن مبادئك ما برحت قائمة . . وهذا أمر يبعث على السعادة .

كلود : يبدو كأنك ألغيت ضميرك . . .

أسموند : الضمير ، ستعترف بأن أوامره ينبغى أن تؤخذ فى حذر . ربما كنت مخطئة . . بيد أن المثل الذى أقمته لنا من نفسك . . .

كلود : أهذه هى العبرة التى تخرجين بها من حياتى !

أسموند : المهم فى نظرى هو ألا يموه الإنسان على نفسه . . أقصد . .

كلود : وإذ كنت تصورين لنفسك أنك لا تخدعينها عندما تدعين أنك تستسلمين هذا الرجل لمجرد الشفقة والعطف عليه ؟

أسموند : إننى لم أقل شيئاً من هذا القبيل . . ومن الواضح البيّن أنه لو لم يعجبنى . . وأود أن ألفت نظرك بكل بساطة إلى أنه حتى لو اعتقدنا فى الفضيلة . وفى حب الجار ، وكل هذه التشكيلة كما يقول فرد — لكان لقراري مبرراته الوجيهة . . وما عليك إلا أن تتناوله من طرفه هذا

إذا كان طرفه الآخر يحرق أصابعك .
فسأبنى لنفسى . أنا أيضاً نوعاً من
العش على أية حال . . ومن الواضح
أنك لن تدعى لتباركه . . ولكن
بجمل الأمر . . أبى المسكين . إنك
تذكرنى بهؤلاء الناس الذين يقيمون فى
بنسيون بنيلارد والذين يذهبون كل
صباح لمشاهدة جبال الألب خلال زجاج
الشرفة الملون . . وهكذا يبدو لهم المنظر
على هذه الصـــورة أكثر فتنة .
ولكنهم يتحسرون فى الوقت نفسه لأن
الأثر الذى يتركه ليس طبيعياً . .
فتراهم يتجادلون إلى ما لا نهايه له دون
أن يصلوا مطلقاً إلى اتفاق فيما بينهم
وبين أنفسهم . . . وأنت مثلهم ،
لا تعرف ماذا تفضل ، وهذا تشق
نفسك بنفسك . والاختلاف الجوهرى
بيننا ينحصر فى أننى لا أستطيع أن آخذ

هذا كله مأخذ الجد . ولعل ذلك راجع إلى أنى استمعت كثيراً إلى الناس يلقون المواعظ من حولى عن واجباتنا : وعن الدين الذى فى أعناقنا نحو الله . فإذا استمع المرء إلى الحديث عن روحه كل أيام الآحاد من الساعة العاشرة إلى الساعة الحادية عشرة ، دون أن نحسب الصلوات اليومية . . . هناك ألفاظ معينة ، أفكار معينة . . لست أدرى . ولكن يبدو لى أنه لا مفر من الشعور بنوع من الرعدة ، من الدوار فى كل مرة يتفوه بها المرء أمامك . . ولكن : هذا لا يحدث ! إن مواعظك التى تلقيها يوم الأحد تكاد تكون أشبه شىء بحسابات المطبخ . وأعتقد أنها لو لم تكن ضرباً من الروتين حتى بالنسبة إليك أنت ، ولو رأيت أمامى شخصاً قد عاش

فى الفزع أو الدهشة . . أما دين مثل دينك ، فإنه فى نهاية الأمر لا يغير شيئاً فى أى شىء . . . إنه يشبه أرضية اللوحة ، ولا شىء أكثر من ذلك . . وفضلا عن ذلك فإن لوحة السامرية الطيبة التى هى هناك ، تشبهك ، ولكن إلى حد ما . ينبغى ألا تنظر إلىّ هذه النظرة البائسة يا أبى ، فهذا نوع من الاحتيال لا يليق بك .

كلود : إذا رحلتِ فلن يبقى لى شىء .

أسموند : وأسوأ من ذلك أن أبقى . . . فإن حياتنا ، نحن الثلاثة . الآن . . بعد كل هذا الذى قلناه كل منا للآخر . . لكى يكون من المستطاع أن نحيا معاً ، كان لا بد من الاحتفاظ بحد أدنى من الوهم بعضنا عن البعض الآخر . . . وعليك أن تفكر أيضاً فى أننى أريد أن أملأ حياتى برسالة جميلة أؤديها . .

وهى أن أحل مكان الأم التى لن تعود أبداً . . تأمل جيداً ! فكر فى هذا ؛ . إن للزجاج المنون حسناته أيضاً على كل حال . . . ولا ينبغى أن تخجل من استعماله . .

[صمت] . . .

المنظر العاشر

الأشخاص أنفسهم — إدميه

إدميه : [لنفسه بتهكم] . . من كان هنا منذ لحظة ؟ .

أسموند : إنه السيد ميجان الذى حضر برهة . .

إدميه : من الذى سمح له بالحضور هنا ؟

أسموند : كنت أريد أن أحدثه بمحضر من والدى .

إدميه : [مخاطبة كلود] — إذن فقد كنت حاضراً ؟

كلود : أجل .

إدميه : ماذا يعنى هذا ؟

أسموند : لقد تم اتخاذ قرار فى غيابك ، وأنا على استعداد لإطلاعك عليه ، ولكننى أقول لك مقدماً إننى أرفض وضع هذا القرار موضع البحث .

إدميه : أنت ؟ ترفضين ؟

أسموند : رفضاً باتاً . . . السيد ميجال يريدنى مدرسة لطفلتيه .

كلود : [بصوت خافت] بل هذا غير صحيح .

أسموند : أتعهد بأن أحوله إلى حقيقة :

إدميه : [إلى كلود] — أو تدعها تفعل ذلك ؟ هذا إذن مبلغ سلطانك عليها . .

كلود : [فى عف مبالغ] — ليس لى أى سلطان على ابنة السيد سانديه . وأقرر فى بساطة أنها خليقة بأمها ، وأنها تحتذى المثل الذى ضربته لها .

إدميه : كلود .

كلود : الآن . . . أصغى إلى يا إدميه ! فربما

كانت هذه هى المرة الأخيرة التى تتاح لى فيها فرصة إطلاعك على طريقتى فى التفكير . إذ لم أعد أهتم طويلا بمناقشتك فى موضوع الضحية الشائقة التى تجدين عليها منذ عدة أيام .

إدميه : ماذا ؟ أتطردنى ؟

كلود : أخشى أن يؤنبنى ضميرى إذا حرمت هذا المحتضر من عناياتك التى تتحرقين شوقاً إلى إغداقها عليه .

أسموند : أبى . . لقد عدت من جديد إلى هيئتك التى كنت عليها منذ لحظة . . إنك لم تعد مسيطراً على نفسك .

كلود : [فى خشونة] — ماذا تفعلين ، أنت ، هنا ؟ أليس من الأفضل أن تذهبى للتفاهم مع هذا الشخص عن الشروط ؟

أسموند : شروط ؟

كلود : إلا إذا كنت تعتقدين أن تكون الخدمة بينكما متبادلة ؟

أسموند : [فى رقة مهينة] . . ليكن ، فلست حاقدة عليك . . [تخرج]

المنظر الحادى عشر

كلود — إدميه

إدميه : كلود ، امنعها !

كلود : عليك أن تستخدمى نفوذك .

إدميه : امنعها !

كلود : لم أعد أهتم منذ اليوم بك أو بابنتك : وهذا أحد الاتهامات النادرة التى لم يسبق أن وجهت إلى مثلها .

إدميه : تذكر أنك قد صفحت عنى .

كلود : إنها تقول ذلك بلهجة جدية . . إذن ، فأنت لا تدركين أن كلمة « الصفح » هذه وحدها تكفى فى الوقت الحاضر ، إن ..

أوه ! كلا ، حسبى هذا . : إن هذه التفسيرات تسبب لى الغثيان .

إدميه : ولى أيضاً ، أؤكد لك ذلك .

كلود : إن ما قلته منذ لحظة صدق كله . . فهى أن تركتنا الآن ، لم يعد ثمة داع لمواصلة الحياة معاً ، ويبدو لى أن عليك واجبات عظيمة نحو شخص آخر . وتستطيعين أن تؤديها وأنت مرتاحة الضمير من الآن فصاعداً . . أما بالنسبة لى ، فمن المحتمل أن أهجر منصبى الدينى .

إدميه : [فى ارتياع مفاجىء] . . ليس هذا صحيحاً .

كلود : تلك البقية الضئيلة من القوة التى كنت أعتقد أنى ما زلت أملكها أشعر أنى فقدتها .

إدميه : لا يمكن أن تفقد الإيمان فجأة على هذا النحو . ليس هذا ممكناً .

كلود : لست أدرى . . ربما لم أوهب فى يوم من الأيام ذلك الإيمان الحقيقى .

إدميه : الإيمان الحقيقى . . . ومع ذلك ، تذكر

تلك الطريقة التي كنت تتحدث بها عن الحياة ، عندما كنا مخطوبين ، وتلك النغمة التي كنت تنطق بهـا بعض الكلمات . . . . لقد كنت صادقاً .

كلود : كنت صادقاً ، كنت سعيداً .

إدميه : وكانت عيناك تتألقان . ويبدو لي أحياناً أنني قد تزوجتك بسبب هذه النظرة . . فلم يكن حولي أحد يتحدث مثلك ، كانوا جميعاً قاتمي الوجوه . أما أنت ، فعندما كنت تلقي هذه الكلمات ، كانت النبرات التي تنطقها بها وحدها . . . كان ذلك أشبه بعالم فتحته أمامي .

كلود : وقد اعترفت لي الصغيرة منذ عشر دقائق فقط أن هذه الجمل نفسها التي طال تكرارها هي التي أبعدتها عن الإيمان .

إدميه : ليست هي العبارات عينها . إنها لم تكن قد ثبتت بعد .

كلود : هل فتحت لك عالماً ؟ ماذا كان هذا العالم ؟

إدميه : لست أدرى .

كلود : تذكرى ما حدث بعد ذلك . فى الشهور الأولى من زواجنا . تلك الشكوك التى حاصرتنى . النزهات الطويلة التى كنت تقومين بها وحدك وتعودين منها متعبة ، كئيبة ، ذات وجه مغلق . وكنت تجيبين على كل ما أقوله بكلمة واحدة قصيرة . . فكان أن حقدت عليك .

إدميه : لم تكن تقول لى ذلك .

كلود : هل كنت أحبك فى ذلك الوقت ؟ وأنت ، هل كنت تحبيننى ؟ إننا لا نتذكر شيئاً من ذلك ، وربما لم نعرفه على الإطلاق . [صمت] لقد التزمت فى حياتك على أساس نظرة أو نغمة ؟ ؟ نظرة واحدة . . . واحدة بماذا ؟ ذلك الوعد الغامض لم يتم الوفاء به . . هذه هى قصة حياتنا المشتركة كاملة . . . وعندما أفكر فى الله ، أشعر بنفس

الشعور . كنت أعتقد أنه يتحدث إلىّ
أحياناً . وربما لم يكن ذلك غير نشوة
بجلباب كاذبة . . من أنا ؟ عندما أسعى
لإدراك نفسى . أفت دائماً من نفسى .
فمنذ لحظة كنت أعتقد أنى أبغضك .
وجيل إلى أنى أود تعذيبك ، أود
طردك . أود أن أطأك بأقدامى . . .
ولكن ذلك قد زال . . . إنه محظوظ . .
أليس كذلك ؟

إدميه : عمن تتحدث ؟

كلود : عنه . . هو .

إدميه : ولماذا هو محظوظ يا كلود ؟

كلود : لأنه سينتهى عما قريب .

إدميه : ألا يفزعك الموت ؟

كلود : كلا . . لا أعتقد ذلك . . إنه الفرصة
الوحيدة للإنسان . . حتى ولو لم يكن
باباً يُفْتح .

إدميه : أنت أشجع منى . . .

كلود : أتخافين من الحساب ؟

إدميه : أجل . . لست أدرى . .

كلود : أما أنا فعلى العكس . . فإننا لن نعرف كما نحن . . أن نعرف فى الغروب .

إدميه : لماذا تبتسم ؟ فيم تفكر ؟

كلود : هل تذكرين أغانى « سان - تو » . .
ذلك المكان الذى تهال فيه الأرض
فجأة . . كان هناك احدودب عظيم أخضر
يجرى فى أعماقه نهر « رافينور . . . فإذا
كانت السماء صافية لمحنا « القمم الثلاث »
عند الطرف الآخر من الوادى . .
فلنذهب هناك ذات مساء بعد العشاء
كما كنا نفعل فى الأيام الخوالى . ثم . . .

إدميه : [فى فزع] — كلا . . كلا . . لا أريد . .

فيليسى : [من وراء الكواليس] . . ولكن . . كلا . .
كلا يا آنسة . . يجب أن أخطر
السيد الراعى أولا . [تدخل]

كلود : ماذا هناك يا فيليسى ؟

فيليسى : تقول لى إنها الآنسة أوبونو ومعها الصغير رينيه . .

كلود : لماذا قلت إننى هنا ؟

فيليسى : حسن . . أولست هنا حقاً ؟ [كلود ويديه يتبادلان النظرات] لتتفضل الآنسة بالدخول ؟

المنظر الثانى عشر

الأشخاص أنفسهم — الآنسة أوبونو — الصغير رينيه

الآنسة أوبونو : صباح الخير يا سيدتى ، صباح الخير يا سيدى الراعى . . أرجو المعذرة عن حضورى فى مثل هذه الساعة ، ولكنه يوم خروج رينيه . . وقد قضينا فترة بعد الظهر كلها فى القيام ببعض المشاوير .

كلود : ولكن . . هذا لطيف منك ، على العكس من ذلك .

الآنسة أوبونو : وقد حرصنا على الحضور اليوم لأنه يوم ذكرى زواجكما .

إدميه : ٢١ ديسمبر ، هذا حق ، هذا حق .

الآنسة أوبونو : [مخاطبة ربيه] حسن ، تستطيع أن تقدم باقتك إلى مدام ليموان . إذا كان من الممكن أن توضع فى الزهرية هذه اللحظة . .

[ربيه يقدم الباقة إلى إدميه] .

إدميه : هذا لطف عظيم منك .

كلود : أجل . حقيقة . .

الآنسة أوبونو : هذا أقل ما يجب ، حين أفكر فى كل ما ندين به لك . . إن والدته [تشير إلى ربيه] كلفتنى بأن أبلغكما تحيتها .

كلود : كيف حالها ؟

الآنسة أوبونو : كما هى دائماً . . ولكنها لا تشكو ، وتردد دائماً قولها : « يعلم الله وحده

ماذا كان يصبح مصيرى لولا السيد
والسيدة ليموان » .

إدميه : كيف ؟

الآنسة أوبونو : حسن ، ألا تذكران أنكما أنتما اللذان أدخلتمادا شارع « ميشيل بيزو » ؟

كلود : هذا حق ، إنها الآن هناك .

الآنسة أوبونو : عند راهبات شارع « ميشيل بيزو » . . وهى تقول : « إن الناس جميعاً ظرفاء معى » . .

كلود : لحسن الحظ . .

الآنسة أوبونو : وكلفتنى أيضاً بأن أخبرك أنها تصلى كثيراً من أجلك يا سيدى الراعى ، وإن كنت بكل تأكيد فى غير حاجة إلى صلواتها ، كما أنها تصلى أيضاً من أجل السيدة ليموان ، والآنسة أسموند .

كلود : شكراً . . شكراً .

الآنسة أوبونو : وكما نقول دائماً ، إن الرعاة من أمثالك نادرون . .

ريفيه الصغير : هل أستطيع أن أحمل تحيات العام الجديد لعرابتى ؟

الآنسة أوبونو : يقول ذلك لأنه ذاهب إلى والدتى فى « شارانت » فى العام الجديد . .

إدميه : هذا حق . . لقد نسيت أن « أسموند » عرابته . .

[تذهب إلى مؤخرة المسرح وتنادى « أسموند ! أسموند ! » . . .]

أسموند : [من وراء الكواليس] . . ماذا هناك ؟

إدميه : ابنك بالتعميد هنا ، ويريد أن يقول لك طاب يومك . . . إنه الصغير « ريفيه أوبونو » . .

الآنسة أوبونو : كلا ، إن اسمه ريفيه « فيراندون » ، اسم زوج شقيقتى .

إدميه : صحيح ، أرجو المعذرة . . إنه فيراندون الصغير يا أسموند .

أسموند : [من الخارج] . . إننى أعد حقائبى .

الآنسة أوبونو : هل تستعد الآنسة أسموند للسفر ؟

إدميه : إنها تتأهب لوظيفة تشغلها .

الآنسة أوبونو : لقد كانت جادة دائماً . ومن الطبيعى أن تكون وظيفة . . شيئاً . .

كلود : وظيفة مدرسة . .

الآنسة أوبونو : حقاً ؟ أظن أن ذلك سيكون عند أشخاص تعرفونهم . .

كلود : عند ذلك السيد الذى فقدت زوجته عقلها . . .

الآنسة أوبونو : يا للفظاعة ! كم يرى الإنسان من أشياء !

كلود : إن له بنتين صغيرتين . .

الآنسة أوبونو : ولا شك أن هذا السيد قد بلغ عمراً معيناً . . أنا واثقة من أنها ستكون أما حقيقية لهاتين البنتين العزيزتين .

أسموند : [تواريا الباب] . . هأنذا يا ريفيه . . إذا أردت أن تدخل . طاب يومك يا آنسة ، أدخلى أنت أيضاً لحظة .

الآنسة أوبونو : إنى سعيدة كل السعادة لرؤيتك . .

ريتيه الصغير : [أثناء دخوله] . . أمى ! أتمنى لك حياة طيبة سعيدة .

[كلود وإدميه يبقيان وحدهما] . .

إدميه : انظر ، انظر ، هذا ما ينبغى أن نعيش من أجله فى الوقت الحاضر .

كلود : [غارقاً فى أفكاره] . . أن يُعرف المرء على ما هو عليه . .

[ستار]